

تأسيس مدينه الخرطوم والمهدية

سليمان كشه

الثمن ٢٥ قرشا

مقدمة

يضم هذا المطبوع اشتاتا من الصور القلمية لتاسيس مدينة الخرطوم فى عهد التركية السابقة كتبت فى أوقات مختلفة وباقلام مختلفة هى خلاصة مطالعاتى فى المصادر العربية وتطرقت الى حصارها وسقوط المدينة فى أيدى انصار المهدية مما اقتضى الالمام ببعض تاريخ الامام المهدى والحوادث المتصلة بالخرطوم وتاريخ امدرمان حتى وفاته وتلك فترة فى تاريخنا القومى جديرة بالبحث وحسبى انى اهديت اليها بما عندى من معلومات ان لم تكن مستوفاة فقد حرصت على أمانة النقل وعززت الرأى بآخر يسنده

وغاية ما أرمى اليه ان القى ضوءا ولو بسيطا على معالم التاريخ السودانى

سليمان كشه ـ امدرمان

إخراج إلكتروني / ابوبكر خيري

إخراج الكتروني / ابوبكر خيري

فى جريدة الاهرام

كتابة رسائل عن السودان

والى احد ادباء مصر

هذه الرسالة عن الخرطوم

سنة ١٨٩٦ ومن تلك الرسائل

ومقر حكومته فى العهد المصرى

هى عاصمة السودان

وتقع عند رأس جزيرة السودان المحاطة من الشرق بالنيل الازرق ومن الغرب بالنيل الابيض عند نقطة ملتقى النيلين الابيض والازرق المعروف باسم «المقرن» و «مقرن البحور» وموضعها من ابتداء المقرن يشبه مثلثا ركنه الاول جهة الغرب والركنان الاخران جهة الشمال والجنوب وتحيط بها بساتين خصبة نضيرة يبلغ عددها نحو مئتى بستان مساحة اصغرها نحوسته افدنة ماعدا البساتين الصغيرة التى لا تبلغ الاربعة افدنة وهى اضعاف الاولى ويبلغ ثمن ثمار البستان الواحد نحو ٥٠٠ جنيه فى السنه

ويسكن هذه المدينة نحو ٢٥٠ الف منهم نحو الخمس من السودانيين والاخرون من الاتراك والمصريين والسوريين والاوربيين والمغاربة بين تونسيين وجزائريين ومراكشيين وفيها من الاوربيين نحو ٢٠ عائلة فرنسوية اشهرها عائلة الدكتور بتيه ونحو ١٥ اسرة ايطالية و ٤٠ عائلة نمسوية ومثلها المانيه وأشهر العائلات الايطالية عائلة الخواجا دفيد النقاش ومن العائلات النمسوية عائلة الخواجا هاك ماخيرايضا وبها ١٠٠ عائلة يونانية ونحو ٢٠ عائلة روسية اشهرها عائلة الخواجا كاموسكى الساعاتى ونحو ١٠ عائلات من الارمن اشهرها عائلة بطرس بك سركيس ولم يكن بين تلك العائلات عائلة انجليزية

تنقسم هذه المدينة الى ٨ أقسام الاول قسم الخرطوم او الجامع وسكانه كلهم مصريون مسلمون والاقباط وبعض الاوربيين كلهم أعيان البلدة وتجارها وفى هذا القسم كنيسة للاباء الكاثوليكيين شيدت فى ١٨٥٠ على نفقة جلالة امبراطور النمسا والمجر ويكفى لوصفها وبيان اهميتها أن نفقة بنائها بلغت نحو ٣٠٠ الف جنيه

القسم الثاني ــ قسم الترس اى «جسر البحر الابيض» وسكانه اقباط وبعض المصريين والسودانيين

القسم الثالث ــ قسم الحكمداريه وسكانه أتراك وأوربيون ومصريون

القسم الرابع قسم الطوبجيه وسكانه مصريون واتراك

القسم الخامس قسم السكاره وسكانه مصريون وسود من اصحاب

الوظائف العسكرية

والسادس يسمى سلامه الباشاواغلب سكانه من الدناقله والبرابرة

والقسم السابع قسم النوبـهوسكانه من السود الذين تقاعدوا عن الجنديه

أما القسم الثامن ــ قسم هبوب ضرباني فيسكنه ضعاف الحال من الاهالى كالاحياء الوطنية

مدينة الخرطوم جامعة الى جمال الموقع الطبيعى محاسن النظام المدنى والرونق الحضرى واكثر ابنيتها من الحجر واللبن الاحمر مزدانة بالجبس والاجر وقصورها فى غاية البهجة والرونق وشوارعها منتظمة جدا وفيها شارع يبتدىء من شاطىء البحر الازرق وينتهى فى جنوب المدينة يسمى السكة الجديدة استعارة من اسم السكة الجديدة فى القاهرة وجميع سكانها محافظين على عاداتهم الاصليـةثم فشا فيها التقليد الغربى وعادات المدنية الاوربية واصبحت اخلاق وعادات السكان من الطبقة الاولى والثانيه حتى فى الماكل والشرب اوربية محضة وذلك لسببين اولهما وجود المدارس الاوربية التى تقدمت ونمت بسبب قبولها التلاميذ بلا أجرة وثانيها ميل سكان الخرطوم الى كل ما يقرب من المدنية الاوربية والى الاوربيين ولاسيما الفرنسيين والدليل على ذلك ان فى الخرطوم نحو الف شاب يتكلم باللغتين الفرنسية والايطالية

ولسكان الخرطوم ميل شديد الى تزيين المنازل بادوات الرياش الفاخر وهم يقتدون بالاوربيين فيمايخترعونه من اصناف اثاث المنازل وانواع الملابس وعندهم من الملاهى واماكن الرقص والقهاوى ما يزيد عدده على الخمسمائة

تجارة الخرطوم

التجارة فى هذه الحاضرة مهمة جداحتى انها تعدل وحدها تجارة جميع الاقاليم السودانية اما مقاديرها فى الحبوب فهى أجل من أن تحصر وللخرطوم اهمية عظيمة فى تسفير القوافل والسفن التجارية والشراعية حاملة صنوف التجارة الى جميع مدن السودان واهم هذه الصنوف الانسجه المصرية وسن الفيل والصمغ والريش ويبلغ ما يتجربه من السن نحو ٤٠ الف قنطار ، أما الصمغ والريش فتضيع عندهما فذلكة الرقم حتى أن يوزن منها كل يوم تبلغ اجرته نحو الف جنيه فاكثر عدا موزونات سن الفيل التى

يزنها وازنوا المصالح الاميرية

المصالح الاميرية فى الخرطوم

اولاها ديوان الحكمدارية ثم ديوان المالية فديوان المديرية فالمحافظة فالضبطية اى حكمدارية البوليس فديوان العسكرية العمومى للجند السودانى فالترسانه وفيها من البواخر نحو مائة باخرة عدا المراكب الشراعية وهى من احسن مصالح السودان نظاما واتمها معدات وفيها من المعدات والآلات والمواد والادوات الصناعية ما تبلغ قيمته اربعة ملايين من الجنيهات وفيها مطبعة اميرية ومكان لتجليد الكتب والدفاتر ثم مخازن المهمات الحربية والذخائر وغيرها وفيها مدرسة أميرية تحوى نحو ٤٠٠ تلميذ وأساتذتها من المصريين البارعين وتدرس فيها اللغتان التركية والفرنسية عدا العلوم الهندسية والرياضية وغيرها على نمط المدارس المصرية وفيها أيضا مدرسة حربية لتعليم الفنون العسكرية ومدارس الاباء الكاثوليكيين تقدمت تقدما عظيما وكثر طلابها ونجح غالب الذين خرجوا منها منذ ٤٠ عاما وكان السودانيون لا يدخلون اولادهم فى تلك المدارس مع تعددها من اميرية واهلية ومدارس الاباء الكاثوليكيين ولكن معظم سكان الخرطوم من مصريين وسوريين واوربيين يدخلون اولادهم فيها أما المدارس الاميرية فكانت مخصصة للغلمان الذين فقدوا كل سند وعضد بموت ابائهم وأقاربهم وبأولاد العساكر ايضا وكانوا كلهم يعطون مرتبات واكسيه ومن ظهرت نجابته منهم كان يرسل الى مصر على نفقة الحكومة لتكملة دروسه وكان يرسل منهم نحو ٣٠ تلميذا سنويا يوزعون على المدارس الحربية ومدارس الزراعة ومدارس الصناعة حتى اذا اتموا دروسهم عادوا الى بلادهم بالشهادات الدالة على براعتهم

اما المتخرجون فى المدارس الاهلية والمدارس الكاثوليكية فكان اكثرهم من ابناء الاغنياء

واستاذنا المؤرخ محمد عبدالرحيم ـ امد الله فى عمره ـ كان احد غزاة الخرطوم يوم استولى عليها الانصار وله فى كتابه النداء فى دفع الافتراء صفحة ٢٨٢ عن الخرطوم سنة١٢٤٥ هـ ، ١٨٣٠ هذه النبذة المفيدة

ما كان للخرطوم شأن يذكر وهى من القرى العادية سكانها جماعة من المحس كاولاد الفقيه حمدنا الله واولادالقاضى ، ومنازلها متواضعة سقوفها من القش وجلود الماشية سميت الخرطوم لانها فى ملتقى النيل الازرق بالنيل الابيض يمثلان خرطوما شبه شىء بخرطوم فيل

والخرطوم لغة هى الانف كما قال تعالى « سنسمه على الخرطوم »

تقع فى الدرجه ١٥ فى الدقيقه ٣٦ من خطوط العرض • والدرجه ٣٢ والدقيقة ٣١ من خطوط الطول ويبلغ ارتفاعها عن المحيطات ١٢٥٦ قدما :

تلقى خورشيد باشا امرا بنقل الرئاسة اليها • بعد حادث حرق اسماعيل باشا بشندى ولولا ذلك الحادث المشؤوم لما عدل محمد على باشا عن أختيار الاطباء لشندى لتكون العاصمة بعد مدنى •

وكانت فى سوبا اثار مدينه تبدو أنقاضها فوق كثيب من الرمل فامر خورشيد باشا الشيخ عبدالسلام زعيم المغاربة فى حلة كوكو بضاحية الخرطوم بحرى بحفر الطوب الاحمر من تلك الاثار ونقله على المراكب للخرطوم وكان عبدالسلام ذا شخصية بارزة جبارة فاستدعى اهله وامرهم بهدم اثار سوبا ونقل الطوب منها فكشفوا الرمال ونقلوا الطوب الى الخرطوم ثم جاء المهندسون لتخطيط سراى الحكمداريه وجامع الخرطوم الاول فقامت المبانى باسرع ما يمكن

هذا وانى شاهدت نظام البناء فى سنة ١٣٠٢ هـ ١٨٨٥ عندما دخلها المهدى فكان نظامه عموميا يدل على عدم سلامة ذوق المسئول عن تكوين المدينة لركالة شوارعها وتعاريج الاذقة وتنافر دور الاهالى ووجود المقابر بين الاحياء ولست ادرى كيف تعاقب كثير من الولاة واقروا تلك الاوضاع السقيمه

وبعد الفراغ من بناء الحكمداريه والجامع شيد المستشفى وثكنات الجنود ودور الضباط • ومن ثم نقلت الرئاسة اليها

هذا ما كتبه العلامة المؤرخ السودانى محمد عبدارحيم

فان صح خبر ان الطوب الذى بنى به الجامع الاول قد نقل من خرائب سوبا فهناك رواية متكررة السماع تقول ان قصر ـ ابراهيم بك خليل ـ

الواقع فى شارع الحريه بالخرطوم وفى الجنوب الغربى لمديرية الخرطوم الآن قد بنى فى اول عهد العلمين ـ الحكم الثنائى ـ بطوب جامع الخرطوم العتيق فيكون ذلك الطوب قد مرت عليه ستة عهود • عهد سوبا ، عهد الحكم المصرى التركى • عصر المهديه ، وعصر الحكم الثنائى ، وعصر الاستقلال ، وعصر الاستقرار

الخرطوم

فى نحو سنة ١٦٩١ غادر جزيرة توتى الى موقع مدينة الخرطوم : حيث كانت حلة لصيادى السمك ـ الفكى ارباب العقائد وتبعه كثيرون من مريديه واتخذ اسمها من شكل لسان الارض المحصور بين النيلين الابيض والازرق فكانت الخرطوم

وفى سنة ١٨٢٣ اقيم فى تلك القريه معسكر حربى مصرى دائم مما اتاح الفرصة لقيام مدينه اصبحت بعد سنتين عاصمة الاقليم سنار بعد ودمدنى

وفى سنة ١٨٢٦ـ ١٨٢٨ بنى الحكمدار على خورشيد بالعاصمة الجديدة مبنى المديريه وجامعا بقى حتى ايام المهديه وشرع السكان فى البناء بالطوب الاحمر والمواد الاخرى

وفى سنة ١٨٣٤ اصبحت الخرطوم عاصمة السودان وتضم خمسة عشر الفا من السكان العاملين مابوسعهم لتأمين عائلاتهم

وفى سنة ١٨٤٨ وصلت الخرطوم ارساليه نسويه واقامت اول بناء حجرى عرفته العاصمة مكان المديرية الحالية وقدر السكان فى تلك الفترة بستين الفا وبينهم خمسون مسيحيا لهم كنيستهم التى كانت تقوم حيث تقوم الان واثنا عشر يهوديا وكان السوق يضم ثمانيه شوارع اربعه مكشوفه لمحلات الوطنيين ومثلها مسقوفه للاوربيين

وفى سنة ١٨٥٠ كان تأسيس الامير الاى رفاعه رافع ومحمد بيومى استاذ الرياضيات فى المهندسخانه مدرسه ابتدائيه بالخرطوم كانت تقبل ٢٥٠ طالبا وفى تلك السنه عينت النمسا اول قنصل لها فى الخرطوم وكان البارون مللر وتبعتها أنجلترا فعينت جون بترك كنائب قنصل لها وكان عدد الاوربيين بها سنة ١٨٤١ تسعة فقط ارتفعوا الى ثلاثين فى سنة ١٨٦١ ثم زادوا فى نهايتها الى ستين

واسس فى سنة ١٨٧٢ الحكمداراحمد مختار سراى الحكومة واعتنى بالترسانه

وفى سنة ١٨٧٣ أتم أسماعيل أيوب بناء سراى الحكومه ومستشفاها ونظم الخرطوم فاتسعت شوارعها . كان سكان العاصمه سنة ١٨٨٣ خمسه وخمسين الفا من بينهم مائة من الاوربيين وفى اغسطس وسبتمبر سنة ١٨٨٤ احكم الحصار حولها من قبل انصار المهدى وفى صباح ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ دخل الانصار الخرطوم ومن ثم أصبحت خرابا واستمرت اثنى عشر عاما مدينة الموتى

قال محمود طلعت فى كتابه غرائب الزمان فى فتح السودان يصف وصوله الى الخرطوم قائلا

انتهينا الى ساحل الخرطوم فى غروب الاحد يوم ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٢ ، ١١ أبريل سنة ١٨٧٥ وفى صباح يوم الاثنين حضر الينا معاون الضبطية وارشدنا الى محل نقلنا اليه متاعنا ثم توجهنا الى الحكمداريه وسلمنا افادة الماليه فامرنا انا ومن معى بالانتظار حتى يتم اعداد الجمال اللازمة لسفرنا عليها الى كردفان ولا ينسى القارىء اللبيب أن طول المسافه قد أدهشنى جدا وأن الثلاثه اشهر التى استوليت على أستحقاقها ستنقضى قبل أن أصل المركز الذى تعينت لاجله وفى هذه الحاله شعرت بالم الفراق الحقيقى فاستخرطت فى البكاء وسكبت الدمع مدرارا على فراق حبيبتى واهلى وبعد انصرافنا من الحكمداريه اخذنا نطوف بالخرطوم التى هى عاصمة بلاد السودان ومحط رحال تجارتها فاذا هى بلدة حسنة الموقع جميلة المنظر تحييها امواج البحرين . الازرق والابيض غدوا ورواحا ويوجد بها من الجهة الشماليه المشرفه على البحر الازرق كثير من البساتين النضرة الشائقه والقصور الباذخه الشاهقه حتى لقد يعترى القادم على هذا المنظر البهيج حيرة لا يكاد يصدق معها حقيقة ما ينظره أو يرى انه قادم على اجمل بلد واعظمها تمدنا وحضارة ولاغرو فان الخرطوم كانت المحل الاول لاشغال الحكومة المصرية فى أواسط أفريقيا ومركز تجارة السودان ومحط اعظم تجارة وعاصمة بلاد فسيحة الارجاء وأسعة الاطراف كثيرة الخيرات جزيلة البركات ترابها تبر وحصاها در ويسكن الخرطوم خلق كثير لايقلون عن مائة الف نسمه وبها ايضا كثير من الافرنج لكن الجنس اليونانى أكثر من غيره لان كل البقالين (البدالين) هناك يونانيو التبعة وما بقى منهم يشتغل بالتجارة غير ان الجنس الانجليزى وان

كان متشاغلا ومتظاهرا باشغال التجارة كسائر الاجناس الا أن ذلك لم يكن الا بصفة اسمية فقط او هو وسيلة لبلوغ غاية كامنه فى النفس

ويوجد فى الخرطوم كثير من الشوارع المنظمة وعلى جانبها قصور مشيدة ومنازل جميلة تسر الناظرين وهذه الشوارع تكنس وترش صباحا وعصرا وهى لا تقل فى نظافتها عن شارع محمد على وبها ثلاثة مدارس احداهما للحكومة وهى كاملة المعدات حسنه الترتيب والاخريتان صغيرتان احداهما للجزويت والاخرى للاقباط اما المكاتب الصغيرة (الكتاتيب) التى يدرس بها القرآن الشريف فهى مما لا يدخل تحت حصر وبها ايضا كثير من القهاوى منها ما هو على شاطىء النيل الازرق ومنها ما هو داخل المدينة وجميعها منتظمة ومبيضة تبييضا جميلا واراضيها مكسوة بالواح الخشب وقد علقت على جدرانها الصور الجميلة الى غير ذلك من وسائل الزينه وبها ما تشتهى الانفس وتلذ الاعين من المأكولات والمشروب فضلا عن انواع الالعاب والملاهى كالبلياردو والشطرنج والنرد وغيرها مما لا يقل عن ما فى مجتمعات مصر العمومية وبالجملة فالخرطوم مدينة توفرت فيها وسائل أسباب المدنية وكملت فيها وسائل العمران وسكانها على جانب عظيم من الرقة ودماثه الخلق والكرم والشجاعة

اقمنا بها خمسة وعشرين يوما اخذنا فيها حظنا من الراحة واتممنا لوازم السفر ثم انتقلنا من الخرطوم الى أم درمان وهى واقعة على الشاطىء الغربى للنيل الابيض فوجدناها عبارة عن مكتب تلغراف وبعض أماكن خالية من السكان وقد خصصت هذه البقعة لاقامة الواردين من داخل السودان الغربى والمترددين عليه وقد خيل لنا ان جميع عساكر مصر قد نقلت الى هذه البقعة لكثرة من بها من الجهادية وعساكر الباشبوزق فاقمنا هناك ثلاثة ايام حتى جاءتنا الابل وقد ايقنا عند رؤيتها أننا هالكون لا محالة لبشاعة منظرها ولانها متناهيه فى الطول والارتفاع وشديدة السواد ولم يسبق لنا رؤية ما شاكلها وفى يوم الاثنين ٥ ربيع الثانى ١٢٩٢ الموافق ١٠ مايو سنة ١٨٧٥ علونا تلك الابل وازمعنا المسير

مدينة الخرطوم

بقلم محمود القباني

ان الخرطـوم كان لعهـد دولـة «سوبه» التى نجهل تفاصيل كيف بادت مسكونه فى الناحية الشرقيـة (البرارى) وفى جهة الجنوب الشرقى اذ رأينا اثرا ظاهرا لذلك هو الذى كنا نعرفه باسم «جبل سوداء» وما هو بجبل بل كثيب من رمل تكون ممتزجا بقمامات من اوسـاخ عمران ادمـى شبيه بالتلال التى لا يحصيها عدد فى مصر وهناك يسمونها (الكفريـه) نسبـة الى الاجيـال التى كانت قبل الاسلام

وموقع هذا الجبل المجازى الذى ازيل بعد فتح الحكومة الحاليه شرق المقبرة المسيحيه مـع انحراف لجهـة الجنوب وفى ركنه الجنوبى الغربى (مقبرة الاقباط) اما المقبرة الافرنجية فموقعها الحالى وانما زيدت ووسعت من جوانبها الاربعة وفى مدخلها مـن جهة الشمال تمثال ملك بجناحين صنع من حديد اسود كالصلبان التى توضع على القبور وكان العامة يسمون هذا التمثال باسم كنيسـة نكوله والخاصة يقولون مقبرة الافرنج ، أسست هذه المقبرة مع كنيسـة الكاثوليك وقد بنيتا بحجارة منضدة وسقوف الكنيسه ومساكن القساوسة مسقوفة بعقـود حجرية غاية فى الاتقان والمتانة والابداع بايدى الصناع الايطاليين من نحات وبناء ونجار وحداد وقد انفقت نفقات طائلـة لجلب الحجارة مـن جهات جبل اوليا وغيرها ومهما يكـن سمعنا من كبارنا أنها كانت حركـة أقتصادية فى الخرطوم وضواحيها مـلأت جيوبا كثيرة بالنضار من الجنيه الفرنسى البنتو والريال القشلى النمسوى وقد سمى هولاء القساوسه باسم (المرسلون الافريقيون) وتعهـدت بحمايتهم امبراطورية النمسا والمجـر واعترفت بهذه الحماية الامبراطورية التركيه سيدة مصر والسودان وقتئذ

وانى لا ذكر ان للاباء الكاثوليك مدرسة أنتظمت فى تلامذتها لما بدأت حوادث المهدية سنة ١٨٨١ وابطلت دروس اللغة الفرنسيـة فى المدرسـة الاميرية بالاشتغال بالاهم من المهم سلخت فى هـذه المدرسـة ٣٢ شهرا وشهدت الاحتفال بجنازة المطران دانيال كومبونى الذى أسست كلية كومبونى هنـا أحيـاء لذكراه وكان احتفالا رائعا حضره حكمدار عمـوم السـودان محمد رؤف باشا وأورطة الجند النظامى وقناصل الدول والاعيان والموظفون وقد خلفه فى هذا المنصب المطران سوغارو ثم غادر القساوسة

الخرطوم فى اوائل شهر ديسمبر عام١٨٨٣ وموضوع هذه الكنيسة هو ديوان مديرية الخرطوم واقـول أيضاان مكتب محكمة الجنايات ذات غرفة المطران كمبونى التى لفظ روحه فيها

وقدكانت هذه الكنيسة من عمائرالخرطوم الجميلة تمتد حديقتها الى الشمال يفصل بينها وبين النيل شارع عبدت أرضه يتنزه فيه المتنزهون فى الاصيل وفى الليالى يمتد من شرق السراى الى غرب حديقة الحيوانات التى كانت ملكا للعم المرحوم ابراهيم بك خليل من اكابر ثراة الخرطوم

وتمتد الحديقة الكاثوليكيـه شرقا الى آخر عمارة الرى المصرى وتسقى بوابور بخـارى من النيـل باشراف خولى ايطالى يدعى (دومينكو) ابى ان يترك ما غرسته يده حتى ادركته المنيه فى ايام المهدية ، ففى هذه الحديقة العنب يثمر مرتين وكثير من النخل وفيها ما يكفى أهلها من فواكه وخضروات وبطاطس يباع الباقى فى الاسواق

وأن ذكرت عمارة الكاثوليك لمساهمتها فى عمران المدينه وزهوتها أذكر أنه كان قبـل أن أخلق بسنوات أرسالية بروسيه برستنتينيه أقامت فى الخرطـوم وأسست معبـداً وداراومدرسة من الاجرلا بأس بعمارتها ثم قفلت راجعت من حيث جاءت بعد أن باعت ممتلكاتها وفى الازمنه الاخيرة كانت دورهم ملكا للمغفور له الزبـير رحمة باشا ثم صارت هذه الدار مقرا للمدرسـة الاميرية الى سنـة ١٨٨٥ واحذر ان موقع هذه الدار غرب محطة ترام الخرطوم الوسطى بقليل أعـود بعد هذا البيان الى العهد الذى أسس فيه الجامع والشكنه العسكرية والسراى ودواوين الحكومة لكى اتدرج منه الى الطور الثانى وهذا الطور الانشائى قام باتقاذه المرحوم على خورشيد باشا رابع حكام السودان واطولهم مدة اذ دام حكمه نحو ١٣ سنه واكثر من اسندت اليهم هذه الوظيفة كانت ايامهم على الاكثر لا تتجاوز الثلاث سنوات لما يرميهم به الاعداء مـن الطمـوح والاستقلال أو الميول الى ضم السودان الى تركيـا التى كانت تمتلك شواطىء البحر الاحمر سواكن ومصوع وعلـى كل فان اعمال على خورشيد باشا لـم تخرج عن كونها مقاصد حسنه للعمران وتوالت وفـود التجـار المصريين على الخرطوم وأكثريتهم من أسوان وأسنا فساهموا فى تشييد عمران المدينـة وتقدمها بما انشأوا من منازل وغرس البساتين واصلاح فنون الزراعه وتوسع صناعة السفن الشراعيه على ايـدى نجارين مصريين فأمتلأت جيوب عمال السفن وما لكيها بالذهب المصرى الذى

لم يكن قاصرا على الجنيه ونصف الجنيه بل هناك قطع من الذهب قيمتها ٥ قروش و١٠ و٢٠ و٥٠ ومازالت موجوده الى ١٨٨٥ وقد اتخذ منها حلى النساء فضلا عن الريالات التركيه (المجيدى) والنمسوى القشلى

اما النقل على ظهور الابل فكله بايدى شيوخ قبيلة العبابدة سواء كان حكوميا او تجاريا

اما رخص الاقوات فى الخرطوم فقد ادركناه وارنناه فان قيمة اردب الفيتريته من عشرة قروش الى اثنى عشرة وسمعنا كبارنا يتندرون ويقولون انه كان بخمسه او ٦ قروش واردب القمح من ٢٥ ـ ٣٠ قرشا وكان من ١٥ ـ ٢٠ قبل ان تخلق

والحكومة تعتبر الريال التركى ١٦ قرش وربع والاهالى يتعاملون به بعشرين قرشا صاغا والقرش الصاغ ثمانيه قروش نحاسيه تسمى (خردة او طبر) وتجرى حسابات الحكومه بالقروش ورسمها هكذا (باره قروش) والقرش الصاغ اربعون باره وهنالك ما يسمى (كيس) والكيس ٥٠٠ قرش وتجرى مخاطبات الحكومة الاداريه والعسكريه باللغة التركيه كما تجرى الحسابات والضرائب ومخاطبة شيوخ القبائل باللغة العربيه والى آخر ايام الخرطوم تجد عنوان المخاطبات تركى اللغة والخطاب عربى اللغة هكذا

سودان حكمدارى وخرطوم مديرى

واسس رفاعه بك رافع مدرسة الخرطوم الاميريه على غرار المدارس المصرية بيد أنه لم يكن بين دروسها اللغة الفرنسيه لعدم وجود من يقوم بتدريسها واكتفى باللغة التركيه مع العربيه وقد اتقن كثير من طبقة اخواننا الكبار هذه اللغة وهم كثيرون منهم المرحومون الزبير بن ضوه كريمة احد ملوك سنار ووالده من اكابر الشيوخ نزح الى القاهرة وقضى زمنا فى ربوعها موظفا كبيرا فى نظارة الداخليه باسم (معاون) ثم عاد الى السودان وقيل انه اتهم بخيانة الحكومة فقتل ،ومن هؤلاء الافاضل ساتى بك مدير بحر الغزال وغيرهم كثيرون نعرض عن ذكرهم اكتفاء بذكر بعض من انقطعوا لمهنة التدريس محمد ابراهيم عبدالدافع مدرس الحساب وكان فقيها فاضلا تولى القضاء الشرعى فى هذه الحكومة حتى ادركه اجله ومنهم الشيخ على السرجى مدرس اللغة العربيه والخط توفى قبل ايام هذه الحكومة ثم الشيخ محمد عبدالقادر التربى قد توفى منذ امد وقد وظف مدرسا فى كتاب الخرطوم

كانت الحكومة تبذل المعونة لساكنى الخرطوم حتى انها لم تقف عند حد منحهم الاراضى بلا ثمن بل كانت تعاون بمنح اخشاب السقف للعمارات حتى كانت سنة ١٨٧٤ وفشت الاوبئة فمن حمى «أم سبعه» الى الهواء الاصفر (الكوليراء) وقد هجر الخرطوم كثير من السكان وعد فى ذلك الزمن أنه مناخ موبوء لما كان يكتنفه من نواحى الجنوب والشرق من مستنقعات وبرك تتعفن فيها المياه

وكان جل ما يرد الى السودان من المنسوجات هنديا علاوة على الطيوب من عطور وعطارة واسرة الساج واسرة الحق

وقد بذلت الحكومة مجهودات لا يستهان بها فى ردم المستنقعات وفتح المجارى لتصريف المياه والسيول التى كانت تنحط على المدينه وقد ادركنا هذا المجرى وموقعه فى الساحه الواقعه جنوب سراى الحقانيه ثم ينحنى شمالا فيصب فى النيل الازرق ومنذ نشئتنا وجدناها مدينه ذاخرة بالعمران وبنايات بالاجر (الطوب الاحمر) والحجارة المنضدة وكانت تستخرج من حفر الشاطىء الغربى بامدرمان كما ان القمائن التى تشوى بها اللبن كانت فى الضاحيه الشرقيه البرارى والجريفات واكثر المنازل كانت دورين واقلها الدور الارضى والحكومة تشدد فى تعميق الاس وعرض الجدران وأقل مايسمح به فى عرض الجدار ذراع معمارى ونصف زراع نحو متر و٢٠ سانتيا وقد ارتفعت اسعار الاراضى التى على شاطىء النيل اولا اذ كانت مرغوبة لغرس البساتين لسد حاجيات سكان المدينه من فاكهة وخضروات ونخيل وأعناب تأتى أكلها فى العام مرتين واحدة فى الشتاء واخرى فى الصيف فكان سكان الخرطوم ياكلون العنب شتاء وصيفا من النوع الاحمر اكثر والقليل من الابيض

ولما كثر عدد الاجانب من سراة الاوربيين رغبوا فى تشييد دورهم على شاطىء النهر فبذلوا اثمانا عاليه لاصحاب البساتين حتى بلغت قيمة المتر الواحد من جنهين الى ثلاثة وممن فاز بقطعة كبيرة على شاطىء النيل وعلى بعد خطوات من مبانى الحكومة من الناحية الغربية الخواجه جورج تسيادى فشاد عليها قصرا بالاجر وكحله بالجير كان له منظر خلاب وباسفله صالون مستطيل مملوء باصناف المشروبات الاوربية والبقالة وبجانبه (بار وقهوة كبرى)

ومحل تنسيادى أكبر محل لبيع البقالةوالمشروبات الاوربية ويوجدفىالخرطوم ما هو دونه وكذلك يوجد فى الخرطوممحلات لبيع الملابس الاوربية الجاهزة من جميع اصناف الاجواخ والصوف والتيل

وفى الخرطوم منذ نشأتها قناصـل الدول كانت لهم امتيازاتهم

وقد فاز البير ماركويت رئيس شركة فرنسية كبرى كانت تتجر فى الصمغ والعاج وريش النعام وتستورد البضائع الفرنسية بابتياع بستان على بك خلوصى وبناه قصوراً فى شمالهمجزأة على مساكن (شقق) وقد شيدت بالحجارة المنسقة المنضددةوموقعها سراى السيد الميرغنى الحالية والشارع الواقع شرقها . واخرونمبانى فى الجهة الشرقية ومنهم الدكتور جورجى بك مفتش صحة عموم السودان المتوفى فى حملة هكس باشا

وبالرغم من ارتفاع ثمن الاراضىاذ ذاك فى شاطىء النهر فان الحكومة ما زالت على نهج المعاونه فى سبيلتعمير المدينة فقد كانت حتى آخر ايامها تبيع الاراضى فى الحى الجنوبى الغربىالمسمى (سلامه باشا) والحى المقابل له من الشرق (فريق النوبـه) بسعرقرش صاغ واحد للمتر

وقد قدر سكان الخرطوم اذ ذاكباكثر من مائتى الف نسمه لا يقل عدد الجوارى والغلمان فى هذا التقدير عن٥٠ الى ٦٠ الفا ويقدر عدد العنصر المصرى خاصة بنحو ٧٠ الف ونحو ٣الف من عناصر اخرى كالاوربيين أو المغاربة والسوريين والاتراك

وفى تقرير المرحوم عبد القادرحلمى باشا حكدار السودان فى سنة ١٨٨٣ ان عدد التجار فى السودان كلهمن المصريين وغيرهم من الاجانب يبلغ ثلاثين الفا منهم نحـو الفين مـنالاوربيين جلهم من الاغريق الذين كان لهم قنصـل فى الخرطـوم يدعـى(لونديدى) يعد من كبار تجار المدينة وذوى الراسماليه الذى لا يقل عن٥٠ الفا من الجنيهات

ويجدر بى أن اذكر ان فىالخرطوممطبعة اميرية حجريه لا تزال باقيه فى متحف مخلفات العصر الماضى وفىالمطبعة معمل لصناعة الورق يقومبحاجة الحكومة من ورق ودفاتر واوراقالتمغه التى كان لهـا رواج عظيم اذ لا تسمع الشكاوى ولا تعتبر المعاملاتالمدينة والتجارية الا اذا كانت محررة على اوراق التمغة المتفاوة فى قيمتهاوكان بالخرطوم ورشة لتجهيز ملابس الجيش من الدمور والاحذية منجلودحيوانات السـودان ولا يستورد من مستلزمـات الجيش من مصر غـيرالطـرايش وكان الضبـاط يلبسون

ملابس الجوخ او الدمور . وكان الحكمدار هو الحاكم العام وله وكيل مستديم يليه غالبا فى الرتبه والاهمية والحكمدار على الدوام من السلك العسكرى من رتبة فريق لانه القائد العام للجيش ، وقد خرمت هذه القاعدة فى الزمن الاخير باسناد منصب الحكمدار الى المرحوم علاء الدين لسد باب الاختلافات التى اتسعت بين الفريقين عبد القادر حلمى باشا الحكمدار والجنرال هكس باشا وكانت الاوضاع كما هى فى مصر فكانت المكاتبات بالعناوين التركية مثال ذلك سودان حكمدارى سعادتلو افندم حضرتلرى — والاصطلاحات التركية كانت شائعة مفهومة

وقد عين محمد على باشا الشيخ احمد السلاوى قاضيا لعموم السودان والزم الحكمدار خورشيد أن لا يقطع أمرا دون مشاورته ومعه آخرون من اعيان البلاد ، وكان نظر القضايا والحكم فيها مدنيا وجنائيا من اختصاص المحكمة الشرعية اذا كانت كبرى أما الصغرى فينظرها مامور ضبطية الخرطوم ومعه مفتى الضبطيه الى يوم سقوط الخرطوم

وبعد ذلك انشئت المجالس تبعا لمصر فكان فى الخرطوم كما فى كل مديرية «مجلس محلى» للحكم فى القضايا المدنية والجنائية الكبرى واخر رئيس لمجلس الخرطوم المحلى المرحوم محمد بك بدوى والد توفيق بدوى افندى واخيه نيازى وفى الخرطوم (مجلس استئناف) تستأنف له جميع الاحكام الصادرة من مجالس السودان المحلية بمصر وكان آخر رئيس لمجلس الاستئناف هو المرحوم حسن عبد المنعم بك والد الوجيه احمد حسن عبد المنعم واخويه

حسن بك عبد المنعم
١٨٣٤ - ١٩٠٧

عميد اسرة عبد المنعم المعروفه بالسودان وجد عائلة ابو العلاء ويونس وابورجيله والقوصى من ناحية الام ووالد الوطنى الغيور المغفور له احمد حسن عبد المنعم واخوانه محمد وعبد المجيد وجد المغفور له عبد المنعم محمد المحسن ورائد الاقتصاد الاول بالسودان

مولده بمدينة اسنا من اعمال مصر فى سنة ١٨٣٤ من اصل عربى يتصل نسبه بالحسين بن على وتوفى بامدرمان ودفن بالخرطوم بحرى فى ١٩٠٧ حيث الثرى الذى أحبه وتعلق به

قدم الى السودان فى سنة ١٨٦٤ فى مهمة تجارية تتعلق باعمال والده التجارية بين الحبشه والسودان ومصر فطاب له المقام بالخرطوم — حيث تزوج



من كريمة الحاج سيد الصباغ عميد لاحدى الاسر العريقه بالسودان حيث كان ينزل ضيفا فى داره كلما حضر الى الخرطوم (مبانى وزارة الاشغال الحالية التى تطل على شارع النيل)

ومكانته المرموقه فى عالم التجارة والمال لفتت اليه انظار المسئولين من رجال الحكومة فى ذلك الوقت فأستعانت به للتعاون معه فى أدارة دفة الحكم التقدير الذى أهله اخيرا ان يشغل منصب رئيس مجلس الاستئناف وكان آخر رئيس لهذا المجلس فى التركية السابقه ذلك المنصب الذى خلع عليه لقب البكويه وفى خلال حكم الامام المهدى عليه السلام كان من الشخصيات المرموقه والمقربه الى رجال المهدية بسبب خلقه القويم وتمسكه باهداب الدين الحنيف وشخصيته القويه ورجاحة عقله مما أهله ليكون عضوا فى مجلس العشرة من المستشارين الذين عينهم المهدى لمجلس شورى طبقا لتعاليم الدين والشريعه والاسلام

وبعد سقوط السودان فى أيدى الحكم الثنائى سكن بالخرطوم مع اسرته «المنزل الذى كانت تشغله لجنة الحاكم العام قبل الاستقلال» وفى تلك الفترة اختير عضوا فى لجنة التجارة وكان سر تجار الخرطوم ولم يطب له المقام فى آخر ايامه بالخرطوم حيث ترك الاعمال العامة وتصوف فارتحل مع اسرته الى العاصمة الوطنية امدرمان حيث عكف فى داره يقيم الليل والنهار فى عبادة الله وقراءة القرآن الكريم الى ان حضرته الوفاه عن عمر جاوز الـ ٧٢ عاما قضاها فى جلائل الاعمال ومرضاة الله ورسوله ـ وترك اسرة كبيرة بالسودان كان لها شأوا كبيرا فى تقدم السودان فى عالم المال والتجارة والاقتصاد



احمد حسن بك عبد المنعم

وجاء فى عدد جريدة (الرآى العـام الصادر يوم ٥/٢/١٩٦٦ حديثا عن انشاء المدرسـه الاهليه بامدرمان عد فيـه المرحوم احمد حسن بك عبد المنعـم من اعضـاء لجنـة تكوينها كما تبرع بمنزله الواقع فى بداية شارع السيدعلى من ناحية السـوق ليكون مقرا للمدرسه وفعلا أفتتحت المدرسة فيه وفى عام ١٩٤٤ عرض الامر على مدير المعارف البريطانى لماقررت اللجنة فتح قسم ثانوى وحينما اصر على عدم السماح بفتح ذلـك القسم وبعد مكاتبات عديده ركـز دفاعه على عدم وجود المال الازم وعند رفضه على عدم وجود المال الازم وعند اجتماعه بلجنة المدرسه ركز اصـراره على ايجاد المال الازم، وبعد نقاش طويل وقف المرحوم الشيخ احمد حسـن عبد المنعم وكان عن طريق الصدفـه يحمل دفتر شيكات فى جيبه وقـال بالحرف الواحد وقد وقع الشيـك على بياض

عبد المنعم محمد



عبد المجيد حسن بك عبد المنعم

انا احمد حسن عبد المنعم ان كنت لا تعرفنى فأسأل عنى البنوك والشركات الانجليزيه بالسودان وهذا شيك على بياض وقد طلبت منا أعتماد الاربعة الاف جنيه وان شئت فاجعلها اربعين الفا وليوضع هذا المبلغ فى البنك مدة أربع سنوات حتى تخرج الدفعه الاولى فما كان من المدير الا ان رد الشيك ووافق على بناء المدرسه الثانويه دون قيد او شرط هذه وقفة من وقفات المرحوم احمد حسن بك عبد المنعم الوطنيه وما اكثرها

اما حفيد عميد العائله المرحوم عبدالمنعم محمد فقد اوقف ثروته الطائله للنفع العام فله المصحات فى امدرمان وله المعهد العلمى بالخرطوم وله الكثير من الاحسانات المنظمة التى قدرها الشعب السودانى

رأسته محمود القبانى يقول

ان مصالح الحكومة فى الخرطوم متعددة وأماكنها متدانية مواقعها وأعظم تلك البنايات هى بناية الحكمدارية عدى (السراى) التى لم تكن ديوانا بل هى دار سكنى اسرة الحكمدار وفى العهد الاخير تحولت ثلاثة أجزائها الى دواوين حكومية : فعل ذلك غردون سنة ١٨٨٤ اذ اكتفى هو بالجناح الاعلى لمكتبه ومعاونيه وشغل الدور الارضى كله بمصلحة «مالية السودان»

ديوان الحكمدارية بنى بحجارة بيضاء جميلة منحوته ذات منظر يضارع

أعظم مباني القاهرة ومرتفع سطحه عن سطح الارض باكثر من ثلاثة أمتار وله نوافذ شماليه تطل على النهر والشاطيء مرصوف بالحجارة وقد غرست حول النوافذ اشجار باسقه ومدخل ايوان جلوس الحكمدار من الجهة الجنوبية بثلاثة أبواب كبيرة جدا يجلس القواصه الاتراك على دكتين شرقية وغربية بسراويلهم المقصبه واردیتهم القصيرة سلطة وسيوفهم الكبيرة المحقوفه . هذه الابواب الثلاثة هى التى يدخل العموم لمقابلة الحكمدار وفى شرق هذه الابواب رواق مستطيل فيه غرف من الجانبين وله باب شرقـى يدخل منه الحكمدار من والى السراى والغرف التى يجانب هذا المدخل اجداها (مكتبه لحفظ الكتب)

ومكاتب لموظفى القلمين الافرنكـى والتركى وأوراق هاتين القلمين ويقابل بناء الحكمدارية بناء مديرية الخرطوم وهو منزو الى جهة الغرب واقل ارتفاعا من بناء الحكمدارية الذى يسامته من الجنوب دهليز مستطيل وبوابه جنوبيه كبيرة مزخرفـة يتوصل من فرنـده ذات أعمـدة شـاهقه يجلس فيها ذو الاشغال من الاهلين وكثير ما هم والغرف التى بجانبى الدهليز معده لسكـن البلك النظامى وضباطه المنوط بهم حراسة السراى ودور الحكومـه اسبوعيا ثم هناك مصلحة التلغرافـ وخزانة الحكومـه ثم الدفترخانـه فى الجناح الشرقى والزاويه الجنوبيـه يجمع هاته المصالح حوش واحد متسع تقام فيه الحفلات الرسـميه

وفى شرق الفرندة الغربية مصلاة مرتفعة عن الارض بنحو ٨٠ س مبلطه ارضها بحجارة كانها البلاط البلدى فى مصر وفى غربهـا نحـو ٥٠ حنفيـه تستقى من النيل وبجانب هذه المصلاة منبر عال ـ هو الموجـود فى متحف بيت الخليفـه بام درمان ، فاذا حانت دقيقة زوال الشـمس سـمع الناس (الله اكبر) فيقف دولاب الاعمـال ويسـرع الناس الى الصـلاة واغلقت ابواب ديوان الحكمدار الى الســراى ومثله وكيله فهما اللـذان يتنـاولان الغذاء فى دارهما . اما مـدير الخرطوم وسائر رؤساء المصالح فانهم يتناولون غذاءهم فى ذات المصـالح ويتناولـون طعـامهم وهـم جلـوس على الارض المفروشـه بالبروش حتى يوذن المؤذن العصر وبعد اداء الصلاة يستأنفون أعمالهم ولا يغادرون دواوينهم الا قبل الغروب بسـاعة

ومما يستحق الذكر مناظر المتنزهين حـول المدينـه من الشـرق والغرب والجنوب والشمال وفى الزوارق وأن كانت قليـلـة فـانهـا تمثـل منظر

النزه فى زوارق البسفور فى أستانبول كما يقول الاتراك ومن شاهدوها رحتذوا مثالها هنا • فانت ترى مناظر المتنزهين فى الارياض ركبانا على الخيول المختلفه فى آلتها فتلك بسرج تركى واخرى بسرج سودانى اوافرنكى والكل فى غاية الفخامه من (رشمات ،فضيه مطليه بالذهب واختلاف لازياء فى المتنزهين له منظره البديع فهذا يلبس زيا افرنجيا انيقا مع الطربوش وبجانبه اخر يلبس الزى القديم (السراويل و لشيكن) اما الطربوش المضلع فهو الزى الرسمى لجند الباشبوزق على اختلاف اجناسهم وكنا نرى قساوسة لارسالية الكاثوليكية باثوابهم الكهنوتيه وغطاء رؤوسهم (لطربوش) وكانو قبل زماننا يتعسمون كقساوسة الاقباط والميزة بينهما أن القبطى بقفطان وجبةأو زعبوط وهم بثوبهم الطويل المزرر وقد رايت فى كنيسة الكاثوليك تمثالا نصفيا من الرخام وضع أحياء لذكرى (انياسوكنو بخير) الالمانى الذى أسس الكنيسة لابسا قفطان وفرجيه وعمامه

وبالجملة ان لازياء فى الخرطوم كانت معرضا محتويا لازياء اهل الارض كلهم تقريبا • ومن بين المعمسين زى العمائم المتباينه من مصريه وصعيديه الى سودانيه الى سورية الى هندية الى بخارية الى تركيا وكذلك اللحى الافرنجيه وكثيرمنهم كانوا يحلقون لحاهم من اسفل الحنك فيسميهم الناس (ابو دقنين) ومن مشاهد النزهة التى تجرى فى الخرطوم فى اغلب ايام الاسبوع (لعبة الجريد) التى يقوم بها جنود الباشبوزق والاتراك والمغاربه والشايقيه والاهالى • وهى تمثل مبارزات الحروب والترامى بالسهام ولست بناس حلقات (الحاوى) المشعوذ والالعاب المدهشه من فنون السيما ،، وفى مرة وفد الخرطوم «حاوى» شهدناه قطع شابا أربا أربا الى عشرين قطعة والدم قد ملأ الارض وصرخ الحاضرون ثم تمثل لاعيننا ان الدماء والاجزاء المقطعه تتحرك وتقترب من بعضها حتى استوت شخصا سالما بجلابيته الزرقاء وطربوشه قبل أن يذبح ويقطع أربا ومن مناظر الشعوذة التى نراها كل يوم

رجل من ساكنى الخرطوم قصير القامه ضخم الجثه كبير الوجه ضخم الرأس يبلغ شعره منكبيه يحمل مسمارا غليظا مستطيلا على رأسه حلقات حديديه لايقل وزنها مع المسمار عن عشرين رطلا يغرس هذا المسمار فى عينيه حتى تراه لامعا شبرا فى قفاه وقد سالت الدماء ثم يستله ولا اثر للدم ولا ضرر بالعين وهكذا يعيده دواليك وقد يضعه فى

صدره وقلبه وبطنه حتى صارت شعوذته هذه مألوفه لدينا
ولاستيفاء تخطيط الحكسدارية اذا بناء حجريا متينا عريض الجدران
فى طول شاهق وحصن منيع كان فى داخله أورقه يسمى طوبجخانه
(اى محل المدافع)

الخرطوم سنة ١٨٦٢

كانت مدينة الخرطوم عام وصول بيكر اليها سنة ١٨٦٢ حديثة العهد اذ لم يمر على تأسيسها انذاك اكثر من خمسين سنه وكانت بدورها بدائيه وكانت مركزا لتجمع قوافل تجارة الرقيق والعاج وكانت عاصمة للحكم التركى الذى كان يسيطر على مواردالبلاد بطريقة شرهة ولا يعطى الاهلين مقابل ذلك حكما صالحا

كانت عملية نهب بشعه لم يعرف التاريخ لها مثيلا اشترك فيها كل موظفى الدوله من الحاكم العام ـ موسى باشا فى ذلك الوقت ـ الى اصغر خفير اما الجنود الاتراك والمصريين الذين كانت تتكون منهم حامية الخرطوم فقد بلغ عددهم حوالى الخمسة عشر الفا من الجند كانوا يعيشون فى القطر عيش جيش الاحتلال أنعدمت فى قلوبهم الرحمه كان كل ما يهمهم هو جمع الضرائب التى كانت تجبى بالهاب المواطنين بالسنه السياط او بالغارات المسلحة على مخازن الغله وزرائب الماشيه فى القرى النائيه

وكانت شوارع المدينه مهملة تراكمت عليها القمامة ورمم الحيوانات وتزاحمت عليها ٣٠٫٠٠٠ نفس كانوا يكونون سكان الخرطوم فى ذلك التاريخ وكان الواحد منهم لايستطيع ان يقضى غرضا دون ان يلجأ الى رشوة الحكام وكانت الجلدة والتعذيب هى سعر السوق اما موسى باشا فقد جمع أرذل خصائص بنى جلدته واضاف عليها قوة الوحوش وكان الجو شديد الحرارة وعندما تهب العواصف الرمليه يتحول ضوء النهار الى ليل كالح السواد تركـ لبيكر ان يصف لنا الهبوب : ـ

رأيت جبالا ضخمه سمراء ترتفع الى عنان السماء من الجهة الجنوبيه الغربيه وكانت تزحف نحونا بسرعة مذهلة وما هى الا دقائق حتى أظلمت الدنيا فى عيوننا ـ سبق ذلك هدوء قاتل لا نسمة فيه ولا حركة وعندما أحتوت دارنا الهبوب لم أستطع أن أتبين معالم يدى بعد أن رفعتها على مقربة من نظرى واستمر الحال لمدة تزيد عن عشرين دقيقه صفا بعدها

الجو وعادت الشمس لتشرق من جديد ومع ذلك كان للخرطوم سحرها الخاص لانها كانت تذكر المسافر باخر بقعة تنتهى عندها المدينه وتبدأ أرض افريقيا المجهولة

كل قافله تخرج من الخرطوم نحو الجنوب تأتى بشىء جديد من الاكتشافات والسلع والطيور والحيوانات التى لم تدخل بعد فى تبويب علم الحيوانات والنباتات الغريبة ذات الروائح العطرة وكانت تجارة العاج وحدها تقدر باربعين الفا من الجنيهات سنويا ونجد ان سكان الخرطوم انذاك خليط من الاهالى والشوام والاقباط والاتراك والارمنيين والعرب والمصريين وعديد من الاناث الحبشيات اللائى كن يعتبرن زهرة المجتمع الخرطومى فى ذلك الوقت

وكان بين هؤلاء ما يزيد على الثلاثين عائله اوربيه وبالطبع كان مستوى عيش هؤلاء الاجانب اعلى بكثير من مستوى الاهالى فقد توفرت لهم حتى الكماليات وارتبطوا بعالمهم الخارجى بالبريد ياتيهم شهريا على قافله من الجمال

وقال عبد الله حسين فى كتابه السودان القديم والجديد

كان انشاء مدينة الخرطوم فى موقعها حلة صغيرة للصيادين وجعلت سنة ١٨٣٢ معسكراً للجيش وفى سنة ١٨٣٠ مقرا لحكمدار السودان خورشيد باشا وعاصمه للسودان وقد سميت بالخرطوم لان موقعها هو عند ملتقى النيل الازرق بالنيل الابيض يشبه خرطوم الفيل واسست بها سراى الحكومه بالطوب الاحمر من دورين وسراى مديرية الخرطوم ومسجدان ودار لبعثه دينيه مسيحيه ، وثكنه للجنود شرقى المدينة ومستشفى ومصنع للبارود ومخزن للمؤن وترسانه بها مسبك للحديد ومصنع للنجاره وانتشرت بها الحدائق والدور واقام فيها موظفون اولا

ويقول مانجان فى كتابه (تاريخ مصر فى حكم محمد على) ان عدد سكان الخرطوم قد بلغ ثلاثين الفا فى عهد محمد على وزاد العدد الى اربعين الفا سنة ١٨٥٤ وخمسين الفا سنة ١٨٥٦

وقال الكولونيل أستوارت أن عددهم سنة ١٨٨٣ وقبيل المهديه كان بين خمسين الفا وخمسة وخمسين الفا

وهناك رواية تقول ان الاميرالاى عثمان بك اول حكام السودان ١٨٢٥ هو اول من جعل الخرطوم مركزا له فنقل اليها اقلام الحكومة والمخازن والشئون وصارت من ذلك الوقت عاصمة السودان وخلفه محو بك وقد بنى بناية خاصة للادارة الحكومية فى الخرطوم

ويقول نفس المصدر ان خورشيد باشا اول حاكم نظم السودان (١٨٢٦ — ١٨٣٩) وأسس مدينة الخرطوم واقام فيها المنشئات وعمل على تعمير البلاد وارجاع السكان الذين هجروها فى عهد الدفتدار وعثمان بك

وكانت الخرطوم بضع عشش للصيادين مبعثرة بالقرب من ملتقى النيلين فجعل فيها الحاكم المصرى مركز الادارة العامة للسودان وأوجد السكن والترسانه والمبانى العامة المشيدة بالاجر والرياض وحدائق الخضر والفاكهه وهو اول من اجتذب السكان الى المدينة وحثهم لاول مرة على بناء منازلهم بالطوب المجفف فى الشمس وكانوا قبل ذلك لا يعرفون آلا البناء بالقش واعواد الشجر وجلود البقر

وزار والى مصر محمد على السودان فى اواخر حكم خورشيد باشا (١٨٣٨ — ١٨٣٩) وقال واصف لتلك الرحلة ، بلغنا الخرطوم فى ٦ نوفمبر سنة ١٨٣٨ فاذا هى العاصمة الحالية لسنار تقع على درجة ١٦ من خط العرض على بعد ربع فرسخ من ملتقى فرعى النيل ، ولم تكن من خمس عشرة سنة آلا مجموعة من عشرة اكواخ فلما رأى خورشيد باشا حسن المكان وطيب هوائه دعا أسرا عديدة من سنار وبعض عرب الصحراء الى الاقامة فيه وبناء منازلهم ، فأصبحت الخرطوم مدينة مكونة من خمسمائة بيت مشيد بطريقة نظامية ومستشفى ومخازن واشوان كبيرة وحدائق مختلفه وينبت فيها وينضج فى الشتاء التين والعنب

وفى عهد عبداللطيف باشا (١٨٥٠ — ١٨٥١) جدد ديوان الحكمدارية أو سرايها فى الخرطوم فبقى الى الثورة المهدية وانشأ مدرسة اميرية برئاسة رفاعه بك الطهطاوى وبيومى بك

وانتشر (١٨٥٥ — ١٨٥٧) الهواء الاصفر «الكوليرا» ومات خلق كثير

ومن اهم اعمال الوالى جعفر باشا مظهر (١٨٦٦ — ١٨٧١) انشاء المحاكم والمدارس وتحسين حالة الترسانه بالخرطوم

وكتب السير صمويل بيكر فى اثناء رحلة العودة من السودان فى يوليه

١٨٧٣ يقول لقد ادخل اسماعيل باشا ايوب تحسينات كبيرة فى مدينة الخرطوم وهو الذى اكمل بناء مستشفى الحكومة الذى بدأه ممتاز باشا وبفضل عنايته تحولت اراضى واسعة جرداء الى حديقة عامة تصدح فيها كل مساء الموسيقى العسكرية وفى ايامه أيضا بدأت اعمال الرى بواسطة البخار على الضفه الشمالية من النيل لزراعة القطن

وكتب مسيو صيجلر مدير البرق بالخرطوم يقول ، لقد عاد اسماعيل باشا أيوب من دارفور من شهر مضى بعد غيبة عامين ، وقد كان استقباله عظيما وقد وجدت فى الخرطوم تحسينات عظيمة وفتحت فيها شوارع واسعة فسيحه واصبحت المدينة اكثر بهاء واهم من ذلك ، اصبحت مصححة بعد أن كانت كثيرة الاوباء وكان ذلك بتاريخ ٣٠ مايو ١٨٧٦

وجاء فى كتاب ،لامراطورية السودانية

اما الخرطوم فانها بعد سقوطه وموت المهدى الذى وقع فى ٢٢ يونيه سنة ١٨٨٥ اقام الخليفه عبد الله فى امدرمان وجعلها مقرا له لان الخرطوم كان اصابها من التدمير ما جعلها غير صالحة للسكن

والمصريون هم الذين انشأوا الخرطوم وكسلا فى السودان وادخلوا وسائل العمران الحديثه فى حواضر السودان المختلفة

وقد كانت الخرطوم قبل الفتح المصرى قريه للصيادين مكونه من بعض الخيم والعشش المتفرقه

وفى سنة ١٨٢٣ على أثر انشاء معسكر دائم حلت الدرادر محل العشش وحلت محل العشش المساكن المبنيه بالطوب (اللبن) المجفف فى الشمس ومبان امتن مخصصه للضباط ثم شيد جامع فسوق فمبان اخرى

وفى سنة ١٨٣٠ جعلها خورشيد باشا الحاكم العام للسودان (١٨٢٦ — ١٨٣٩ عاصمة البلاد الرسميه واقام فيها قصرا للحكومة ومبانى عمومية وحوضين على النيل الازرق والابيض وحدائق

ولما زار محمد على الخرطوم سنة ١٨٣٨ وكان يوجد بالخرطوم ثكنات عسكرية ومستشفى وحوالى ٤٠٠ و ٥٠٠ بيت ، وقد كان خورشيد باشا اول حاكم حث الاهالى على ترك عششهم المصنوعة من سيقان النبات وجلود البقر الى بناء مساكن بالطوب الاحمر

على ان معظم هذه المساكن كانت دائما مهددة بالانهيار عند ارتفاع النيل ومن تهطال الامطار وقد مات الدكتور توسكانيللى بالخرطوم سنة ١٨٤١ تحت

انقاض بيته اذ جرفه فيضان استثنائى

ويقول الدكتور ابيت باشا ان منازل اكثر متانه ارتفعت رويدا رويدا هنا وهناك ، وكانت مبانى الحاكم والمديريـة وبعض منازل المـوظفين والتجار بالاجر «الطوب المطبوخ» فكانت لها روعة وسط المساكن المحيطة بها ، ثم بنيت ترسانه وثكنه ، ومخزن ذخيرة وجامعان ودار للمبشرين وبدىء غرس شجر التين والبرتقال والليمون والموز والنخيل فى الجنات ، واخذت حدائق الخضارة تنتشر فى وقت معا حول اجمل المبانى وأحقر الاكواخ التى كان يقطنها جنود الحامية

وكان بران رولية فى سنة ١٨٥٦ يقدر عدد سكان الخرطوم من ٤٠ الى ٤٥ الف وقدرها ابيت فى سنة ١٨٨٢ من ٥٠ الى ٥٥ الفا

والواقع أن الخرطوم على حـد قول المؤرخ أميل بورجوا « رأس جسر المدنية فى أفريقيا »

وقالوا

عن حكمدارى الخرطوم :ـ

الاميرالاى عثمان بك جعل الخرطوم مركز الحكومه وفى عهده ظهر الجدرى وكان حاكما مستبدا

محو بك سنة ١٨٢٥ ـ ١٩٢٦ بنى تكنة الخرطوم واحتفر فى الصحراء ابارا وفى الخرطوم شجره عرفت باسمه

خورشيد باشا ادخل البناء بالطوب والاخشاب والالواح ونظم الدواوين وانشأ مسجدا بالخرطوم ومسجدا فى سنار وأستخدم زراعا مصريين لتعليم الاهالى الزراعه

واحتل القلابات وانشأ بها حاميه واخضع جبال قلى وغزا الشلك وسبدرات

احمد أبو ودان باشا واصل سياسه سلفه خورشيد باشا فى تنظيم الادارة والتعمير وجلب من مصر الحيوانات الاليفه والنباتات ونشطت الصناعه فى ترسانة الخرطوم وفتح فى عهده اقليم التاكا «كسلا» وعمم المواصلات وفى عهده زار محمد على باشا السودان

عبد اللطيف باشا ،انشأ مدرسة الخرطوم الابتدائيه وكان ناظرها رفاعه بك

المدارس فى عهد الحكم التركى

عند الاستاذ عبدالعزيز عبدالمجيد ان الثقافه السودانيه العربيه تدين بالفضل للازهر الشريف فقد كان المعهد الاسلامى الاول الذى رحل اليه الطلبه من السودانيين طلبا للعلم منذ ان ظهرت سلطنة دارفور سنة ٨٤٨ هـ « ١٤٤٥ م » ومملكة الفونج بسنار ٩١٠ هـ (١٥٠٥) فان عددا غير قليل من علماء السودان فى القرن التاسع والحادى عشر والثانى عشر الهجرى كان يتلقى العلم فى الحرمين فيذهب للحج والمجاورة هناك ثم يعود للتدريس فى مساجد السودان وخلواته وكذلك كان يفد بعض العلماء من المغرب وتمبكتو على مملكتى دارفور وسنار فى طريقهم الى الحج ويقيمون فى بلاد السودان مدة للتدريس ونشر العلم ثم يرتحلون او يستقرون نهائيا

ويقول الفقيه محمد ضيف الله بن محمد الجعلى الفضلى فى كتابة

(الطبقات) ولم تشتهر فى تلك البلاد « يعنى قبل تأسيس مملكة الفونج »
مدرسة علم او قرآن ، ويقال ان الرجل كان يطلق المرأة ويتزوجها غيره فى
نهاره من غير عدة حتى قدم الشيخ محمود العركى من مصر وعلم الناس
العدة وسكن البحر الابيض « اى النيل الابيض »

وفى اوائل النصف الثانى من القرن العاشر ولى الملك عمارة ابو
سكيكين وفى أول ملكه قدم الشيخ ابراهيم البولاد من مصر الى دار
الشايقية ودرس فيها خليلا « ومختصر مذهب الامام مالك لخليل بن اسحق
الجندى توفى سنة ٧٦٧ هـ » والرسالة « رسالة عبد الله بن ابى يزيد القيروانى
فى فقه مالك وانتشر علم الفقه فى الجزيرة

ثم قدم الشيخ محمد المصرى دار بربر ودرس فيها علم التوحيد والنحو
والرسالة

واذا نظرنا الى التعليم بعد دخول جيش محمد على باشا السودان سنه
١٢٣٧ هـ ١٨٢٢ م نجد أن رفاعه بك الطهطاوى يقول فى كتابه « مناهج
الالباب »

ومما يدل على حسن مقاصد المرحوم محمد على انه عند عودته من
البلاد السودانية استصحب معه عدة غلمان من ابناء وجوه السودان الى
مصر وادخلهم فى المدارس المصرية ليتعلموا مبادى العلوم ثم نقلهم الى
مكتب الزراعة ثم الى مدرسة الالسن وكان القصد من ذلك ان يذيقوا طعم
المعارف التمدنية لينشروها فى بلادهم

وقد شاهدت بعضهم مستخدما بمديرية الخرطوم كاتب « يعنى سنة ١٨٥٠ م
ميلادية حينما كان رفاعه بك فى السودان

اما زيارة محمد على باشا السودان كانت سنة ١٨٣٩ او اوائل
سنة ١٨٤٠ م وعلى هذا لم تؤسس اية مدرسة حكومية فى السودان فى عهد
محمد على باشا وانما كانت اول مدرسة هى مدرسة الخرطوم التى أسست فى
عهد عباس باشا الاول

وفى سجلات مكتبة عابدين بتاريخ ٦ من رجب سنة ١٢٦٦ هـ الاتى

قد رأى المجلس المخصوص أن تؤسس مدرسة بالاقاليم السودانية
انقاذا لاولاد اهلها والمستوطنين بها من جحيم الجهل فيمتازوا باكتساب العلوم
والمعارف على أن يقبل وقيد بها مائتان وخمسون غلاما واستحسن ان يولى
رفاعه بك ناظرا على هذه المدرسة فيرسل اليها وأن يصطفى مدرسوها

من هنا باختيار البيك المشار اليه فنرجو ان تفهموه مهمته هذه وتضعوا بيانا عن المدرسين الذين سينتخبهم وعما تبلغ لوازم تلك المدرسة سنويا وشهريا من مأكولات وملبوسات وغيرها طبق الترتيبات الجارية بالمدارس لاسيما الأصول الجارية بمدرستى المبتديان والتجهيزيه وترسلوه سريعا الى المجلس لكى يطلع عليه فيصدر فيه قرار

وقد قر الرأى على أن تفتح هذه المدرسة فى عاصمة الخرطوم وأن يكون طلابها من اولاد المشايخ والاهلين القاطنين بدنقلا والخرطوم وسنار والتاكه وملحقاتها وكذلك من اولاد الاتراك الذين توطنوا بتلك الديار واحفادهم

وبعد مكاتبات عدة تبين ان مجموع نفقات المدرسة السنوية يبلغ ثلثمايه وثمانيه وثلاثين الفا وثلاثه وثلاثين قرشا وتسعا وثلاثين باره (البارة ربع مليم) وقرر القرار بان يستصحب رفاعه بك احد عشر معلما وطبيب وهم

١ ــ القائمقام محمد افندى بيومى

٢ ــ الصاغقول احمد طائل افندى

٣ ــ الملازم اول على محمد افندى مهندس

٤ ــ الملازم الثانى على عثمان افندى

٥ ــ الملازم الثانى امين افندى

٦ ــ الملازم الثانى ابراهيم محمد

٧ ــ الملازم الثانى محمد مرسى افندى

٨ ــ الشيخ رجب

٩ ــ الشيخ مكاوى

١٠ ــ الشيخ اسماعيل

١١ ــ الشيخ احمد

١٢ ــ سليمان السيوطى افندى الطبيب

ويقول رفاعه بك فى كتابه مناهج الالباب ــ

وفى سنة سبع وستين والمائتين والف كنت سافرت الى السودان بسعى بعض الامراء بضمير مستتر بوسيلة نظارة مدرسة الخرطوم مكثت نحو

الاربع سنوات بلا طائل وتوف نصفمن بمعيتى من الخوجات (الخوجه بالتركية المدرس) ومع أن الاقامة بتلك الجهات كانت لمجرد الحرمان من النفع الوطنى فقد اقتضت الحكمة الالهيه ان سفرى لم يضع هباء فقد تعلم فقهاء الخرطوم ممن معى من المشائخ القراء تجويد القرآن الشريف وعلم القراءات حتى صاروا ماهرين فى ذلك وفى آخر الامر تنظمت المدرسة نحو تسعة شهور وتعلم فيها التلاميذ من ابناء المصريين القاطنيين هناك طرفا من النحو والحساب والهندسة وحسن الخط وظهرت نتيجة ذلك فى الامتحان العام

ان مدرسة الخرطوم هذه الغيت برسالة الى حكمدار السودان بتاريخ ٢٧ من شوال سنة ١٢٧٠ هـ

فلما تولى اسماعيل باشا خديوية مصر أمر بافتتاح خمس مدارس فى السودان بمديريات الخرطوم وبربر ودنقلا وكردفان والتاكه كالامر العالى الى حكمدار السودان فى ٦ من شعبان سنة ٢٧٩ هجريه

وكتب الاستاذ عبد المجيد عابدين فى كتابه تاريخ الثقافة العربية فى السودان صفحة ١١٤ –

لما فتح محمد على السودان ظهرت فيه المدنية وأستلزمت هذه المدنية انشاء المدرسه الابتدائيه بالخرطوم وكان ناظرها رفاعه رافع بك الطهطاوى انشئت فى عصر عباس ولم تلبث أن اقفلت فى عهد سعيد

ولم يصدر عباس فى سياسته هذه عن رغبة خالصه لنشر العلم والتعليم فى السودان ولكنه كان مدفوعا فى الدرجة الاولى بالاساءه الى رفاعه بك وغيره من رجال العلم بابعادهم عن مصر الى السودان ولم يتبين لنا الاثر الذى تركته هذه المدرسه ولكن مما لاشك فيه ان وجود امثال رفاعه وبيومى (الذى كان مدرسا اول وضابطا) وغيرهما فى الخرطوم كان له بعض الاثر فى الطبقه المتعلمة فى السودان انذاك وقد ذكروا بالخير وحزنت الخرطوم على وفاة بيومى افندى فيها وكان رفاعه معجبا بالسودانيين فذكر أن لهم قابليه للتمدن الحقيقى لدقة اذهانهم فان اكثرهم قبائل عربية ولا سيما الجعليين والشايقيه وغيرهم واشتغالهم بما القوه من العلوم الشرعيه عن رغبه واجتهادو لهم ماثر عظيمه فى حسن التعليم والتعليم حتى ان البلده اذا كان بها عالم شهير يرحل اليه من البلاد المجاوره من طلبة العلم العدد الكثير والجم الغفير فيعينه اهل بلدته على ذلك بتوزيع المجاورين «اى الطلبه» على البيوت

بحسب الاستطاعه فكل واحد مـــن الاهالى يخصه الواحد او الاثنـــان فيقومون بشئونهم مده العلم والتعليم

ويحدثنا نعوم بك عن مدارس تنشأ فى المدن الكبيرة على ايدى العلماء الكبار الذين تعلموا فى الازهر وكان يعلم فيها العلوم العربية كمبادىء النحو والصرف وعلم التفسير وعلم الفقه على مذهب الامام مالك عن التصوف وتزداد الزوايا والربط بزيادة الطرق الصوفيه

وفى هذا العهد تأسس الجامع العتيق بالخرطوم وكان موئلا للعلم ومقاما للذكر وكان من بين الذين درسوا فيه الشيخ ابراهيم عبد الدافع مفتى الديار السودانية وتلميذه محمد احمد نور السرورابى والشيخ الامين الضرير والشيخ شاكر المفتى (سورى) والشيخ مصطفى السلاوى (مصرى من بلدة سلا) والشريف حسين المجدى «مغربى» والشريف المحروقى الشاذلى من مكه وهو مصرى الاصل

ولد غردون فى مدينه ولوتش بانجلترا فى سنة ١٨٣٣ وانتظم فى الجنديه فى سنة ١٨٥٢ وهو من اسرة اشتهرت بالجنديه وكان ابوه فريقا فى المدفعيه الانجليزيه وقد اشترك مع الجيش الانجليزى فى حصار (سيبتسبول) فى سنة ١٨٥٥ .

وسافر الى الصين فى سنة ١٨٦٠ واشترك فى الجيش الصينى ونال من سلطان الصين لقب سار عسكر وعاد الى الجيش الانجليزى فى سنة ١٨٦٥ فرقى فيه الى رتبة كولونيل وبقى حتى عينه الخديوى اسماعيل باشا بتاريخ ٢ محرم سنة ١٢٩١ هجريه الموافق ١٩ فبراير سنة ١٨٧٤ ميلاديه مديرا لمديرية خط الاستواء وبقى فى هذا المنصب حتى سنة ١٨٧٦ ثم استقال وعاد الى مصر

ثم عاد الخديوى اسماعيل باشا فعينه حكمدارا عاما للسودان فى سنة ١٨٧٧ وقد بقى فى هذا المنصب حتى سنة ١٨٧٩ وقد استعان غردون باشا فى ادارة السودان بفريق من الاجانب فعين مسيداليا بك الايطالى مديرا (لدارفور) وجسى باشا الايطالى مديرا لبحر الغزال وفردريك روس قنصل المانيا فى الخرطوم مدير الدارفور وشارك ريجوليه الفرنسى مديرا لداره واميليانى لكبكبيه والدكتور زوريخين مفتشا للصحه والضابط سلاطين النساوى مفتشا للماليه وغيرهم

وقد وقعت فى عهد غردون باشا ثورات داخليه منها ثورة السلطان هارون الرشيد ابن الامير سيف الدين ابن السلطان محمد الفضل فى اوائل ١٨٧٧

وثار سليمان بن الزبير باشا فى بحر الغزال سنة ١٨٧٧ فارسل غردون حملة عسكريه بقيادة جيسى باشا هزمت سليمان وقتله فى يوليه سنة ١٨٧٩

وثار (صباحى) احد قواد جيش الزبير باشا فى مارس سنة ١٨٧٩ فارسل غردون الجنود فطاردته واسرته وحكم عليه بالاعدام فى مجلس عسكرى

وفى ٢٥ يونيه ١٨٧٩ الموافق ٦ رجب اقيل اسماعيل باشا من منصب الخديوى فاستقال غردون من منصبه فى اواخر عام ١٨٧٩

انشــا رفاعــه بك مدرســة الخرطوم ١٢٦٥ هجريــة بقى الى سنة ١٢٧٠ هجرية وقال قصيدة فى السودان نشرت فى كتابه مناهج الالباب المصرية طبع ١٩١٢ قال فيها : ـ

وما السودان قط مقام مثلى ... ولا سلماى فيه ولا سعادى
بها ريح السموم يشم منه ... زفير لحظى فلا يطفيه وادى
عواصفها صباحا او مساء ... دوما فى اضطراب واطراد
ونصف القوم اكثرهم وحوش ... وبعض القوم اشبه بالجهاد
فلا تعجب اذ طبخوا خليطا ... بمخ لعظم مع صاو الرماد
ولطخ الدهن فى بدن وشعر ... كدهن الابل من جرب القراد
ويضرب بالسياط الزوج حتى ... يقال اخو بنات فى الجلاد

الى ان قال :

وشرح الحال منه نصف صدر ... ولا يحصيه طرس او مدادى
وضبط القول فالاخبار نزر ... وشر لناس تنـ ـر الجراد
ولولا البعض من عرب لكانوا ... سوادا فى سواد فى سواد
وحسب فتكها بنصيف صحبى ... كان وظيفتى ليس الحداد

واشار فيها الى عدم نجاح مهمته فقال : ـ

ثلاث سنين بالخرطوم مرت ... بدون مدارس طبق المراد
وكيف مدارس الخرطوم ترجى ... هناك ودونها خرط القتاد
نعم ترجى المصانع وهى احرى ... لتأييد المقاصد بالمبادى
علوم الشرع قائمة لديهم ... لمرغوب المعاش او المعاد

قناصل الدول

أشرف على مصالح الانجليز فى الخرطوم أحد السوريين هو (خليل شامى) حتى عين جون بتريك نائب قنصل سنة ١٨٤٩ ثم قنصلا بعد ذلك

وكان أول قنصل للنمسا فى الخرطوم «هو البارون مللر» سنة ١٨٥٠ ثم بعده الدكتور تيودور فون هوجلين ثم خلفه الدكتور ناترر وقد توفى بالخرطوم سنة ١٨٦٢ وتولى منصب القنصل الفرنسى السيد ثيبو وكان لسردينيا قنصل هو المسيوفورينه الذى قتله مع سته عشر من أتباعه قبائل البارى حول غندكرو فى أبريل وكان يتاجر فى العاج والرقيق وتولى القنصليه بعده براون روليه وقد توفى سنة ١٨٥٦ وشغل منصب قنصل الولايات المتحدة بالخرطوم قبطى هوشنوده (الابن) ومنذ ديسمبر ١٨٦١ قدم قنصل أيران فى مصر ميرزا أمان خان التمس بأن أيران تريد تعيين وكيل لها فى السودان لرعاية مصالح رعاياها ويرجو الاعتراف بالتاجر (الرعيه الايرانية) المقيم بالسودان جرجس بوليص وكيلا له

وكتب صاحب كتاب «مصر والسودان»

وكان جميع هؤلاء - باستثناء الدكتور هوجلين قطعا ومن المحتمل كثيرا المسيو جون بتريك يتاجرون فى الرقيق وبينما كان لا يتجاوز عدد الاجانب من الاوربيين المقيمين بالخرطوم خمسة فقط فى سنة ١٨٤٧ بلغ عددهم بها سنة ١٨٦٠ حوالى ٢٥ كان من جنسيات مختلفه : الفرنسى الايطالى ، السردينى والمالطى واليونانى والانجليزى ، والنمسوى وقد وصف البيئه التى عاشا فيها رحالة فرنسى معاصر هو ترِيمو) الذى زار السودان واثيوبيا واصدر كتاب رحلته فى باريس سنة ١٨٦٢ فرسم صورة سيئة لحياتهم الاخلاقية والاجتماعية لتعدد حوادث الطلاق وزواج المتعة ، والزواج المختلط وأهمال أولادهم وأكد أن جميعهم اشتغلوا بتجارة الرقيق تحت ستار التجارة فى العلاج

كان كل القناصل والاوربيين قد غادروا الخرطوم فى ديسمبر سنة ١٨٨٣ وأستمر الانسحاب بعد وصول غردون ١٨ فبراير سنة ١٨٨٤) وأمكن فى فبرائر أرسال حوالى الالف من الخرطوم الى مصر

ام درمان قديما

اثبتت المخلفات التى وجدت غرب كوبرى النيل الابيض) أن هذا الجزء من الارض كان مأهولا بالسكان من أقدم العصور وتلك المعاول والالات الحربية المنحوته من الحجر دلت دلالة صريحة بأن سكانا من العصر الحجرى كانوا هناك ، ويؤكد الباحثون أن حضارات وثقافات مختلفة قد يكشف عنها التنقيب مستقبلا ويكشف أن لامدرمان ماض يليق بها كأعظم مدينة فى السودان

أما أنها كانت محطا لرجال القوافل ورحالهم الاتية والذاهبة الى وداى ودارفور وكردفان محملة بواردات تلك البلاد وعائدة بما يرد اليها من واردات الشرق العربى والقطر المصرى فأمر قطع به مؤرخو الاحقاب المتوالية حتى جعلوها ــ موردة لرسو السفن الشراعية المقلعة منها نحو بربر فى الشمال والعائدة اليها فالجمل الذى عرف كاسرع أداة للنقل أو وسيلة من وسائل المواصلات للمسافات البعيدة كوداى أمدرمان كان معروفا فى السودان من عهد مملكة مروى

ولما أستولى بطليموس الثانى سنة ٢٨٥ قبل الميلاد على القطر المصرى وجابت بعثاته شرق السودان حتى طاب لها المقام بسواكن أسست فيها محلا تجاريا عظيما لحاصلات السودان فحفرت تلك البعثات عدة آبار بين سواكن وبربر وشندى وامدرمان ليتسنى لتلك البعثات الاتصال الدائم بتجارة سن الفيل والذهب وريش النعام وقد ورد أسم امدرمان فى كتب مؤرخو للعصر المسيحى فى السودان ولنقف عند هذا وعند عام ١٥٠٤ نهاية العصر المسيحى فى السودان

امدرمان فى عهد الفونج

فاذا تصفحنا ما كتب عن أمدرمان فى عهد مملكة الفونج من الاجانب نجد أن مكمايكل يقول

ليس هنالك ما يدل على وجود قرية أمدرمان قبل أيام حمد ود امريوم والمعروف أن الشيخ حمد ود أم مريوم ولد حوالى سنة ١٦٤٦ فى جزيرة توتى وتوفى حوالى ١٧٣٠ وقبره الآن من معالم الخرطوم بحرى الظاهرة

ويقول سر سفيلد هول

أن حمد ود ام مريوم كانت له مساجد وخلاوى بما يسمى أمدرمان وقد ترك تلك القرية على أثر نزاع مخرب مع رجل أسمه عبد المحمود أبو

شبه الموفلابى وأستقر فى حلة حمد التى هى الآن جزء من الخرطوم بحرى
وقول كل من هذين المؤرخين لايعد منافيا لما أثبتته الحفريات والآثار والعاديات التى وجدت فى هذا المكان ولا يجعل الشيخ حمد أول من سكن هذه البقعة بل ربما أن الشيخ حمد ومن معه أعادوا السكن فى مكان سبق أن كان ماهولا بالسكان لمدة طويلة سبقت

وعاد مكمايكل الى حوادث ١٧٨٤ — ١٧٨٥ فقال

أن تيراب حاكم دارفور قاد جيوشه حتى وصل امدرمان وبنى بها بناء من الحجر وبقى هناك الى أن مات

ولسائح مكتشف عرف باسم براون زار هذا المكان سنة ١٧٩٨ ووصف أمدرمان بأنها قصاد ملتقى النيلين الابيض والأزرق وأشار الى أن كل السكان كانوا يتكلمون العربية وكانوا مسلمين وأنها كانت فى طريق للتجارة من والى «أبيد» يعنى الأبيض وأن هذا الكتاب اثبت أسم أمدرمان فى خرطة فى كتابه وهى أول خرطة عثر عليها كشيرال

تسمية هذا المكان بامدرمان

والقى مكمايكل قبسا آخر عن أمدرمان عندما أراد أن يؤرخ لحوادث سنة ١٨٠٤ فكتب

أن الشيخ كنتور الذى تآمر على قتل ملك الفونج قد قبض عليه فى امدرمان بواسطة مؤيدى الاخير وقد نجى من الموت باعجوبة ويقال أن العلماء ورجال الدين قد تدخلوا لمصلحته

وهذا القول والايضاح ربما يبين أن امدرمان قد أصبحت فى ذلك الزمن ذات أهمية نسبية ولها علماؤها الخاصون بها وخبر آخر يقول أن كنتور هذا قد عاد الى امدرمان سنة ١٨٠٦ ليتصالح مع محمد أبو ريش

والحديث حول موضوع الشيخ كنتور يدل دلالة صريحة على أن لامدرمان فى ذلك الزمن علماء ورجال يحلون ويربطون

امدرمان وكاتب الشونه

تعد مخطوطة احمد كاتب الشونه من أنفس وأندر المخطوطات التى تتحدث عن السودان وهو ثانى سودانى بعد — ود ضيف الله تحدث عن تاريخ السودان وكاتب الشونه هذا ولد بجهة القوز بين الحصاحيصا والمسلمية وكان موظفا بديوان الحكومة التركية بالخرطوم حتى سنة ١٨٣٤ ميلادية وتم تدوين مخطوطته ١٨٣٨ ميلادية وأصبحت مرجعا عنى به الاجانب فنقلوا صورا

مخطوطة منها وحفظوها مكنونة فى خزانات دور كتبهم ففى القاهرة واستمبول ولندن وباريس والمتحف البريطانى نسخ منها وعلى مخطوطة كاتب الشونه أعتمد الذين كتبوا عن تاريخ السودان من الاجانب

ويقول كاتب الشونه

فى سنة ١٢٢٠ هجرية (١٨٠٥ ـ ١٨٠٦ ميلادية) قدم الشيخ كمتور بالصعيد ولحقاه محمد ود رجب ومحمدود ناصر وقطع هو بالقرب بام درمان وراسلاه بالمصالحة ولم يحصل بينهم قتال

امدرمان والحكم التركى

ويقول كاتب الشونه :

ففى اول يوم من رمضان سنة ١٢٣٦ هجرية (١٨٢٠ ـ ١٨٢١ ميلادية) نزل المومى اليه (اسماعيل باشا) بام درمان بالجانب الغربى مقابل الخرطوم فهرب منه بعض الناس وقابله البعض فاعطاهم الامان لغيرهم وانفسهم وكساهم وتكامل الخرطوم وكتب مرة ثالثة عن ام درمان

وفى صفر سنة ١٢٤٠ هجريه ١٨٢٤ ـ ١٨٢٥ ميلاديه كان دخول عثمان بك امدرمان واقام بها اياما ثم قطع ونزل الخرطوم

وجاء فى تاريخ السودان لشقير حديثا عن هكس وجيشه ختمه بقوله وأقام هذا الجيش فى أم درمان وبنى رجب بك صديق طابية اشتهرت فى حصار الخرطوم .

وقال ابراهيم باشا فوزى صاحب تاريخ السودان بين غردون وكتشنر لما كانت حملة الجنرال هكس معسكرة فى امدرمان حصنت نفسها بخندق مربع يتصل طرفاه بالنيل قبالة نقطة المقرن التى يتجمع عندها النيلان الازرق والابيض بازاء الخرطوم فى الشاطىء الغربى انشا احد الالوية خندقا داخل الخندق فى مكان مرتفع وما حوله منخفض وفى ابان ارتفاع النيل تصل مياهه الى الخندق الصغير بحيث تستطيع السفن الرسو عنده بخلاف ايام الانخفاض فان النيل يبتعد عنه مسافة الف متر تقريبا ولما وصل غردون الخرطوم اعجبه موقع هذا المعقل من جهة المقرن فشاد فيه ابراجا وطوابى ووضع فيها ثلاثة مدافع من الطراز الجبلى واربعمائة جندى من النظاميين نصفهم من السودانيين والنصف الاخر من المصريين وفى داخل الطابية بئر ماء للشرب وبجانب ذلك الحصن مكتب للتلغراف يصلها بقيادة الخرطوم .

وصدر الأستاذ محمد عبدالرحيم المؤرخ السودانى أول عـدد من مجلته امدرمان الصادرة فى ١٥ سبتمبر ١٩٣٦ بالمقال التالى :

امدرمـان

تقـع هذه المدينه فى الدرجـه ١٥ والدقيقـه ٣٨ مـن خطـوط العرض والدرجه ٣٢ والدقيقه ٢٩ مـن خطوط الطول ويبلغ أرتفاعها ١٢٥٦ قدما من مستوى المحيطات وهى شمال النيـل عند ملتقى النهرين

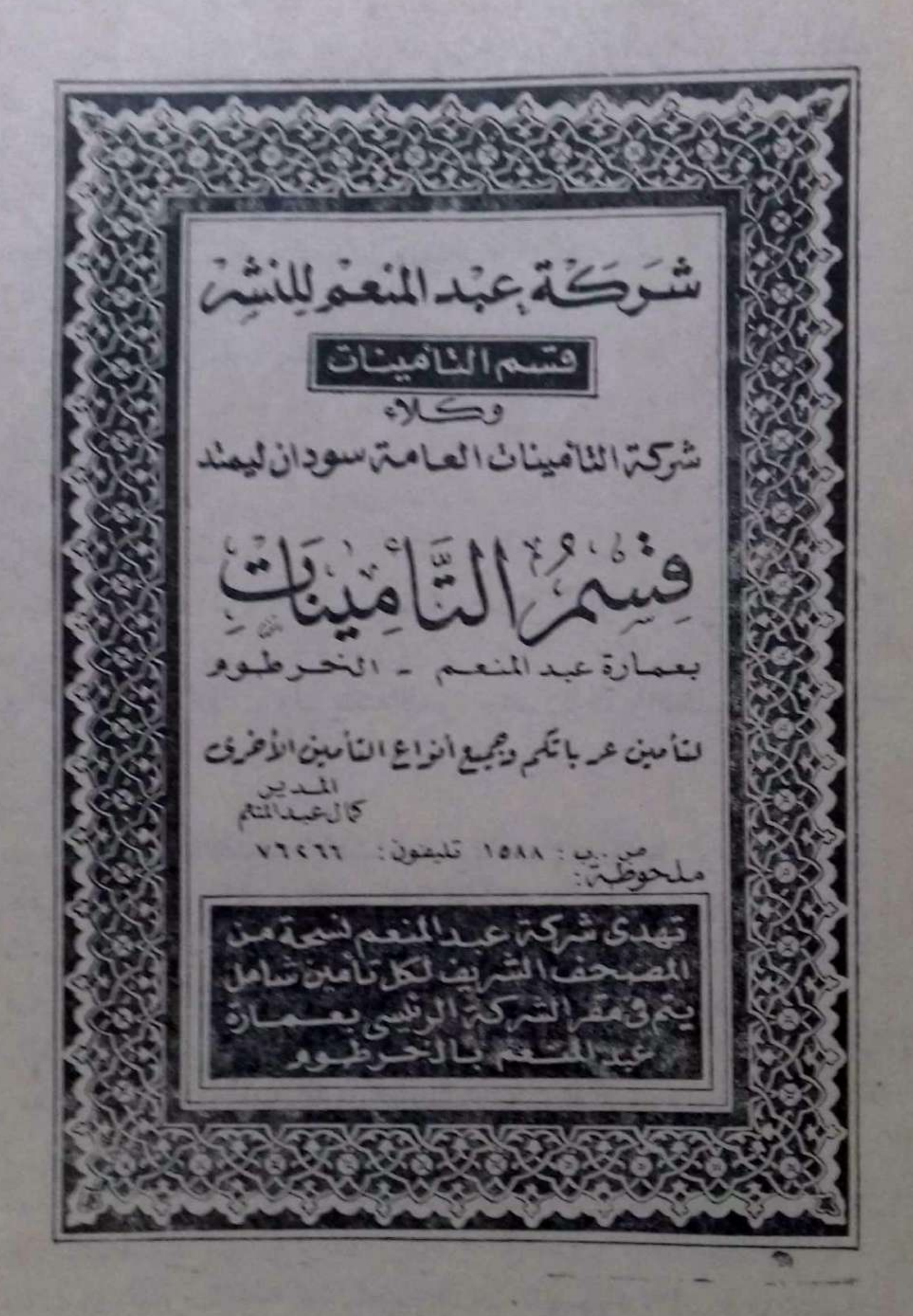
يقـولون ان اسمها كان قـديما (وشـل) وهو اسـم ملك من ملوك العنج أى (النوبه) وبعد مـوته وليت امرأته المملكة وكان اسمها (امدرمان) فسميت بها المدينه ومن الغريب انـك اذا حسبت عدد حروف وشل بالجمـل وجدتها ٣٣١ وكذلـك تكون حروف امدرمان وهذا ضرب من التعليل أقرب الى الحدس والتخمين لم يقم برهان على صحته

ويـذهب اخرون على ان بعض العرب يبدلون اللام فيما كما ورد فى الحديث « ليس من أمبر أمصيام فى أمسفر » وعلى هـذا القياس يصـح فى نظـرهم ابـدال الميم لاما فتصير (الدر) ومان معنـاها كـذب فيكون المعنى كذب الدر اى انه ليبدو كاذبـا بجانب حصباء هذه المدينه وهو وجـه من التأويل لا تقطع بصحته ايضا وهناك تعاليل كثيرة يجيدها سكان هذه المدينه ويجتهد فى استخراجهـا الكثيرون ولو قد علموا ان الاسـماء لا تعلل لأراحوا نفوسنا من هذا العناء

وجاء فى كتاب الســودان المصرى والانجليز المطبوع سنة ١٨٩٦ صفحة ١٣٣ أنتشر النفوذ الرومانى فى السـودان قبيل الفتح الاسلامى ولـكن لا يعلم فى أى زمان أمتد هذا النفوذ الى ما وراء منابع النيـل جنـوبا والى ما وراء دارفور غربـا وكانت عاصمتهم بجوار الخرطوم على ضفة النيل الشرقى عند الموضـع المعـروف (بقبة خوجلى) وكان الحاكم الاكبر عليهم اسمه ديرمان وقد شاد لامه قصراً فى الضفه الغربيه فسـمى قصر ام ديرمان ثم اهمل لفظ قصر وبقى امديرمان وحرف مع الزمن فصـار امدرمـان

وبعد : ــ

فان أمدرمان كانت مجموعة من القرى المتفرقه فى الجهة المقابلة للكوبرى وجنوبها ديم الفتيحاب وبينها وقرية أبى سعد الموجودة حاليا نحـو عشرة أميال أو مايقارب وظلت على هذا الحال حتى يوم أستلام الانصار لها والاغلب الاعم من سكانها الجموعية والفتيحاب على الاخص أما الطابية المعنية فيقولون أنها كانت فى مكان المستشفى الحربى بامدرمان


شركة عبد المنعم للنشر
قسم التأمينات
وكلاء
شركة التأمينات العامة سودان ليمتد
قسم التأمينات
بعمارة عبد المنعم - الخرطوم
لتأمين عرباتكم وجميع أنواع التأمين الأخرى
المدير
كمال عبد المنعم
ص.ب : ١٥٨٨ تليفون : ٧٦٢٦٦
ملحوظة:
تهدى شركة عبد المنعم نسخة من المصحف الشريف لكل تأمين شامل يتم في مقر الشركة الرئيسي بعمارة عبد المنعم بالخرطوم

مهدى الله

للاستاذ توفيق احمد البكرى كتاب بهذا العنوان تقتبس منه :

ان محمد احمد بن عبدالله عاد الى الخرطوم بعد ان درس على الشيخ محمد الخير وعمره يناهز العشرين عاما بعد غيبة طال مداها ولحق بشقيقيه وأهلهم الاقربين فى الجزيرة أبا حيث يزاولون صناعة السفن والزراعه

سحرته الجزيرة (ابا) بدوحهـا ومائها وهدوئها فوجد فيها العزلة المواتيه للدرس والتأمل العميق ومواصلة الانكباب على كتب التصوف والوقوف على اسرار الزهد :

أنها غايته الكبرى وأمله المنشود

انه دوما صائم

نزر الكلام

نزر الطعام

مطرق فى تأمل وتفكير

ادرك محمد احمد فى تلك السن المبكرة من العلوم مالم يدركه احد من لداته .

حفظ القرآن وجوده ، ولم يتقنه النحو والصرف والفقه والتفسير والتصوف .

واولع فيما أولع به

بالادب والعلوم العقليه كلها فدرس الفلسفه والعلوم الطبيعيه والمنطق وقيل انه درس كتاب الشمس البازغة أكثر من عشرين مرة

ووجد مكتوب بخطه على ظهر نسخه من كتاب تفسير (الجلالين) ما يفهم منه انه قرأه اكثر من سبع وأربعين مرة على مشايخ عديدين .

عرف الغزالى . وابن رشد وابن سينا وغيرهم من فلاسفة المسلمين واحتقب معه كتاب (احياء علوم الدين) ويستمر الاستاذ توفيق البكرى فيكتب :

ان محمد احمد كما قال عنه الشيخ الامين الضرير شيخ علماء السودان قبل الدعوة المهديه :

اذا حادثته فى العلوم العقليه تسمع من اساليبه الوجيزه والمفيدة ما يدعوك الى نظمه فى عقد من اشتهروا بالبراعة فى هذا الفن وقل ذلك على من خصاله

ومناقبه وخبرته باساليب التعليم حتى يخيل للمرء أنه يقدر على تفهيم من لا يفهم

جاوز محمد احمد يومئذ العشرين بقليل فنضر شبابه واستوى فارعا رشيقا عريض الوجه أسمر اللون ادعج العينين واسعهما اسيل الخدين مشلخها على خده الأيمن خال مفلج الاسنان وجميلها بساما فى أستحياء وبشر فرغب يومئذ فى ان يتم تصوفه فذهب الى الشيخ محمد شريف نور الدايم باشا نقيب الاشراف وشيخ مشايخ الطرق الصوفيه فاخذ على يديه الطريق منتظما فى عداد تلاميذه وحواريه وقد سبقته شهرته الى اشتاذه فتقبله قبولا حسنا ومكث عنده منقطعا الى العبادة والصلاة وزجر النفس ورياضتها فترة غير قصيرة فاذا وقف للصلاة ابتدرته العبرات المنحدرات كشأنه فى الغبش « بربر » وجزيرة أبا

فلما رآه شيخه على هذا الحال أنه سالك طريق المريدين وناهج نهج الصالحين وانه سقى من منهل القوم مال اليه واجبه ونصبه شيخا وأعطاه علما واجاز له اعطاه العهود وتسليك الطريق

فرجع محمد احمد بعد ذلك الى الجزيرة ابا واقام بها مسجدا وخلوة للتعليم والارشاد وتسليك الطريق

ووفد عليه الاعراب من قبائل دغيم وكنانه وبنى سليم وغيرهم كثير من بدو غرب السودان

فكان يوالى حثهم على طلب العلم ونبذ الاوراد وماولع به الجهلاء من ابناء طرق الصوفيه ويقال أنه كان يتولى تعليمهم بنفسه حتى انه علم الوفا مؤلفة من الاعراب الكتابة والقراءة

فكان اذا انتهى من صلاة العصر أو العشاء جلس يحدث سامعيه وتلاميذه عن الزهد وترك مباهج الحياة الزائله والسير على هدى السنه والكتاب . فصيحا بليغا مؤثرا يواتيه البيان والشرح والاسترسال

وكتب صاحب كتاب (السودان المصرى والانجليز) المطبوع بمطبعة الاهرام بالاسكندريه سنة ١٨٩٦ ما يلى :

ولد محمد احمد المهدى فى سنة ١٢٥٣ للهجرة فى مديرية دنقلا فى المكان المسمى (جزيرة الخناق) ومعنى الخناق فى لغة الدنقليين (الاشراف) وهو من قبيلة تعرف بهذا الاسم ايضا وهى تنتمى بالنسب الى رجل يدعى الشيخ الشريف على وهو صاحب ضريح يزار فى دنقلا ولشيخ

شريف هذا رجل عربى قدم ابوه الشريف على السودان فى اواخر القرن العاشر للهجرة وتزوج امرأة من الدنقليين فولدت له ابنه الحاج شريف المشار اليه وكتب له والده مقام اعمامه فى القاهرة فشخص اليهم من دنقلا ثم عاد الى دنقلا واقام مع أخواله فزوجوه امرأة منهم ولدت له اربع ذكور . وهم محمد وحاج وعلى وساتى فنشأت منهم قبيلة تعرف باسم قبيلة الخناق

وانتساب المهدى الى الحاج شريف كما يأتى : —

محمد احمد المهدى بن عبدالله بن فحل بن على بن محمد بن الحاج شريف بن على . وفى كتاب سيرته المطبوع فى امدرمان رفع هذا النسب الى الحسن السبط

وبعد ولادته باربعة اشهر هجر ابواه دنقلا ونزلا قرية كررى الواقعة شمالى الخرطوم .

وكان للمهدى شقيقان وشقيقه وهم محمد وحامد وآمنه وكان والده وأخواه نجارين يصنعون المراكب الشراعيه ويبيعونها من التجار . وبعد سنه توفى والده فى كررى ودفن فى مقبرة شمال هذه القريه وتعلم هو فى (خلوة) كررى ثم مدرسة قرآنيه أخرى لرجل يدعى الفقيه الهاشمى فمكث ٧ سنين حفظ فى خلالها القرآن واتقن فن التجويد وخرج منها ولحق باخويه ثم دخل فى مدرسة علميه لرجل يدعى الشيخ محمود الشنقيطى فتوفيت اخته بعد أمه فى اثناء هذه الغيبة التى بلغت ٥ سنوات أخرى ثم جاء الخرطوم وتزوج امرأة من اقاربه وظل يطلب العلم فى مدارس الخرطوم وكان مولعا بالعلوم العقليه كلها ولاسيما الفلسفه الادبيه والعلوم الطبيعيه وقيل انه درس كتاب (الشمس البازعه) نحو ٢٠ مرة وكان لا يهوى من العلوم الدينيه غير علمى التفسير والحديث وشروحهما وقد وجد مكتوب بخطه على ظهر كتاب تفسير الجلالين ما يفهم منه انه درس هذا الكتاب ٤٧ مرة على مشايخ عديدين

ولما صار عمره ٢٦ سنه دخل فى الشيعه السمانيه على يد الاستاذ محمد شريف

وكان المهدى رجلا قانتا ورعا تقيا مهيبا وقورا كبير العقل فالتف حوله كثير من القبائل فصدرو استاذا لهم مرشدا فكان يوالى حثهم على طلب

العلم ونبذ الاوراد والامور التى ولع الجهلاء من أبناء الطرائق ويقال أنه يتولى تعليمهم بنفسه حتى انه علم الاف من العريان الكتابة بعد ان شابوا فى الجهل وكان مع تلك زاهدا فى المأكل والمشرب ومع أنه كان فقيرا كان ينفق كل ما يملكه على الفقراء والمساكين وكان له اربع زوجات ثلاث منهن سودانيات والرابعه مصريه وفى سنة ١٢٨٠ هجريه شاد مدرسة فى الخرطوم لتعليم العلوم الدينيه على نفقته وبعد عشر سنين اقفلت هذه المدرسة بسبب مفارقته الخرطوم وسكن فى الجزيرة (ابا) فى البحر الابيض جنوبى الخرطوم

وتناول الكاتب ما حدث بين الاستاذ محمد شريف من جفوة وقطيعه وعرج على صلة المهدى بالشيخ القرشى وطوافه بانحاء السودان وعقده المعاهدات مع الجمعيات الثورية حتى وصل الابيض الى ان قال :

وفى غضون غيبة المهدى وتجواله فى كردفان مات استاذه الشيخ القرشى وترك له وصاة مكتوبة على صاحبه فيها الى المشايرة على اعماله ومنشورا يوزع على اتباع الشيخ القرشى يحثهم فيه على نصرة المهدى واتباع مشورته ونصائحه ومناوأة كل من يخالفه من أقطاب الشيعه السمانية وكتب عنه بعض اولاده كتابا جعله بمثابة وصاة منه مفاده ان قد علم الاستاذ عن طريق الرؤيا والتطلع الى امور الغيب واسراره : ان المهدى المنتظر مخلص هذه الامة هو الذى يبنى مقاما على ضريحه : فلما اعلنت هذه الوصاة وترامت اخبارها الى كل البلاد وسار بها المغير والمنجد والملاح والحادى وكان لها موقع عظيم لما كان للشيخ القرشى من المنزلة عندهم فانه شيخ انفق عمره وهو مائة حجة فى العبادة والنسك واعلاء منار الطريقة السمانيه

واول عمل اتاه المهدى بعد اعلان تلك الوصاة انه سار لاقامة مقام استاذه المهد لطريقه المصدق بدعوته وكان ذلك فى اوائل سنة ١٢٩٦ هجرية

وتعود مرة أخرى الى كتاب مهدى الله فنجد ان الاستاذ توفيق احمد البكرى كتب فى صفحة ٣٢ :

أخذ محمد احمد فى أقامة قبة عاليه فوق ضريح استاذه تخليدا لذكراه وأعترافا بمكانته وفضله . واظهار الاخلاصه ووفائه وساهم مع العاملين

فى البناء من ابناء الطريق ، فرفع الآجر وحمل التراب حتى سمقت القبة بعد شهر شامخه الى عنان السماء بيضاء تتألق فى وهج الشمس الساطعة وتلوح دالة للقادم من بعيد يؤمها أحباب الطريق من كل مكان للزيارة والتبرك

وبينما هو يعمل مع العاملين فى البناء قدم بدوى فارع القامة نحيلها لمس الجدرى اطراف وجهه . غريب اللهجة والزى حديد البصر تومض عيناه بالذكاء العظيم وتلمح فى اساريره قوة الارادة والعزم والحزم هو عبدالله بن محمد ود تورشين من قبيلة التعائشه أو البقارة أقبل من غرب السودان يستحث خطاه لاخذ الطريق من محمد احمد ، وفى اذنيه تردد وصية ابيه الشيخ الصالح الذى طلب منه ان يذهب بعد وفاته الى الولى القطب ساكن جزيرة (أبا) لياخذ منه البيعه ويتوفر على خدمته والوقوف ببابه والتفانى فى نصرته والذود عنه بالروح والنفس فهو صاحب الوقت والامام المنتظر

فلما انتهى بناء القبة رجع محمد احمد الى جزيرة أبا وحوله خلق كثير من احبابه وتلاميذه ومريديه وفى طليعة الركب يسير عبد الله الحوارى الجديد يحمل علما نقشت عليه آيات من القرآن الكريم . وأخذت الوفود ترد عليه من دارفور وكردفان والبحر الاحمر ودنقلا والجزيرة لتحظى بنفحه من نفحات الولى الصالح وعبدالله يزداد كل يوم من سيده حظوة وقربا متفانيا فى خدمته والسهر على راحته وأظهار ولائه ومحبته . اتراه اسر له فى عزلة من الناس وصية ابيه ؟ ام لزم الصمت حتى يأزف اليوم الموعود ؟

أن اباه وقد كان صالحا من اهل الكشف قد ذكر له فى الساعة التى لا ينطق فيها المسجى المحتضر كذبا ومينا انه سيقابل المهدى المنتظر وسيكون وزيره وخليفته أعتزم محمد احمد بعد اوبته من بناء القبة ان يقوم برحلة ثانيه الى غرب السودان يبث فيها طريقه ويلاقى فيها احبابه وتلميذه ويوثق عرى المودة بينه وبينهم ويستطلع احوال البلاد ويقف على شئونها فخرج فى ربيع الاخر سنة ١٢٩٨ هجريه مارس ١٨٨١ فى سياحته تلك ومن حوله الاحباب والتلاميذ فى زى الدراويش ، الجبة المرقعه ، والعصا الطويله والسبحه والركوة ومنطقة السعف (خوص

النخيل) والطاقيه القرنيه فتلقاهم الناس اينما حلوا بالترحيب والاكبار واندفع اهل القرى والبدو والحضر والجبال يتلمسون بركات الولى الصالح صاحب الكرامات ويهمسون بانه القطب والامام المنتظر

لقد طال الانتظار وبلغ الضيق حدا لاتتحمله النفوس والهشيم المتراكم من غيظ وحقد دفين لتشعله شرارة من زناد قادح فماذا رأى محمد احمد فى سياحته ؟ وماذا عقد العزم عليه ؟ لقد حان الوقت ودقت الساعة . الطبول تدق فيملأ دويها الشعاب والسهول والوديان والاعلام ترفرف خفاقة مع النسيم وجموع الدراويش فى جببهم البيضاء الزاهية بشتى الرقع الملونة تسارع الخطى مهرولة الى الامام واصوات التهليل والتكبير وترديد الشهادتين يصم الاذان ويرتفع الى عنان السماء ومحمد احمد يتقدم احبابه وتلاميذه فى الطريق وأمام هذا الحشد المتدافع كامواج البحر السادرة عبد الله التعايشى يحمل العلم المرقم بالايات

لا يعيا الركب سيرا ولا يعيا تهليلا وتكبيرا . ويخرج أهل القرى والدساكر التى يرحل عنها أهلوها فرارا من بطش الجند ونجاة من قسوة الجباة لملاقاتهم والترحيب بهم والتبرك بلثم ولى الله الزاهد ساكن جزيرة (ابا) الذى قدم لزيارتهم يطلبون منه صالح الدعوات ويتطلعون اليه فى غدهم تطلعهم الى بصيص الامل فى ديجاء الخطوب

هكذا خرج محمد احمد لرحلته فى غرب السودان مر بجبال النوبه واجتاز فيافى كردفان المترامية فعرفها وكانا مكانا واستقبله الناس هذه المرة استقبالا اربى على استقبال زيارته الاولى حماسا وترحيبا بعد ان ترامى اليهم نبأ موقفه من استاذه محمد شريف واصبح السودان كله آذانا مرهفة تستمع الى ما حدث فردد الناس الروايات ويسعون فى الشرح والتأويل

عاد محمد أحمد من رحلته فى الغرب بعد ان اوثق أواصر التفاهم بينه بين أقيال العشائر ونظار القبائل وأصحاب الشأن فى البلاد وضم الى عداد تلاميذه فى الطريقه السمانيه عشرات الالوف من المريدين المخلصين وعاهدوه على السمع والطاعة والتمسك باهداب الدين والانتهاء عن نواهيه والاستعداد لنصرة الحق واقامة سنن الشريعة والتفانى فى ذات الله وحضهم على

الذل والانكسار وقلة الطعام والشراب والصبر وزيارة السادات وامرهم بالحرب والحزم والعزم والتوكل والاعتماد على الله وأن يعصموا

أنقسهم من زلل الوقوع فى الحسد والكذب وترك الصلاة

جاء فى كتاب السودان القديم والجديد لعبد الله حسين صفحة ١٩٢ تحت عنوان المهدى الكبير والثورة المهديه

ساءت الحال فى مصر والسودان فى أواخر عهد اسمعيل وطوال عهد الخديوى محمد توفيق باشا وقامت الثورة العرابيه فى مصر وتلتها الثورة المهديه فى السودان وسنتحدث هنا عن نشأة المهدى الكبير

لما قامت دولة بنى امية فى دمشق الشام سنة ٤١ هـ ٦٦١ م وطاردت العلويين آل الخليفه الراشد الامام على ابن أبى طالب وشيعتهم أفضى هذا الى أن يهاجر من بلاد العرب كثير من الأسر العلويه الى بلدان نائيه وحين أشتد حكم الحجاج بن يوسف الثقفى أشهر رجالات الدوله الامويه فى عهد عبد الملك بن مروان ٦٥ – ٨٦ و ٦٨٥ – ٧٠٥ م وعهد ابنه الوليد ابن الملك ٨٦ – ٩٦ – ٧٠٥ – ٧١٥ م هاجرت أسرة المهدى فيمن هاجروا من الأسر العلويه الى وادى النيل فنزلت مصر وأقامت بها ماشاء لها أن تقيم ، وفى القاهره توفى ألى رحمة الله أحد مشاهير هذه الاسره ودفن عندباب الوزير وله هناك مقام يزار حتى اليوم وأسمه السيد نجم الدين بن عثمان هذا ما يرويه الاديب «المبارك أبراهيم» أمين مكتبة السيد عبد الرحمن المهدى باشا قائلا

ثم واصلت الاسره هجرتها جنوبا متوغله فى أرض الصعيد المصرى وقد طاب لبعض أفرادها أن يقيم فى كشتمنه بين أصوان والدر ومن أبرز رجال الاسره الذين قطنوا كشتمنة السيد نجم الدين بن عون الله أما بقية أفراد الاسره وعلى رأسهم السيد نصر الدين ابن عبد الكريم فظلوا بين سفر وأقامه الى أن القوا عصا ترحالهم فى أقليم دنقلا بالسودان وأستوطن بعض هؤلاء الاشراف العلويين هناك مكانا اسموه الخناق على أسم اخر بلدة كانوا يسكنونها فى اعلى الصعيد المصرى وهى تقع دراو وأصوان وأستوطن بعضهم الاخر مجموعة جزائر ثلاث هى جزيرة ضرار ، ولبب ، واب سركى وقد عرفت هذه الجزائر باسم جزائر الاشراف وهى لا تزال تعرف بهذا الاسم الى اليوم بدنقلا

وفى أواسط القرن السابع للهجرة برز من بين أفراد هذه الاسرة فى دنقلا . رجل اشتهر بالعلم وعرف بالتقوى والصلاح وكان اعجوبه من اعاجيب

المعمرين اذ يتحدث رواة سيرته أنه عاش زهاء ٢٨٠ عاما اما هذا الرجل الصالح المعمر فهو السيد (حاج شريف) وللسيد حاج شريف ولذراريه قباب باقليم دنقلا تعرف بقباب الاشراف يزورها المريدون

وقد الف هذا الولى اسرة كبيرة اشتهر افرادها باسم (اولاد حاج شريف) وله من البنين ٦ غير البنات اكبرهم السيد محمد جد الامام المهدى لابيه .

وعلى هذا يرى (المبارك) ان المهدى الكبير اذن هو شريف علوى (حسنى) ينحدر من أرومة الخليفة الراشد امير المؤمنين الامام على أبن ابى طالب

وان سلسلة نسبه هو الامام (ابو عبد الرحمن) محمد بن عبدالله ، بن فحل ، بن عبد الولى ، بن عبد الله (أبو محمد ، بن حاج شريف ، بن على ، ابن احمد ، بن على ، بن حسب النبى بن صبر ، بن نصر ، بن عبد الكريم ابن حسين ، بن عون الله ، بن نجم الدين ، بن عثمان ، بن موسى ، بن احمد أبى العباس بن يونس ، بن عثمان بن يعقوب ، بن عبد القادر ، بن حسن العسكرى ، بن علوان ، بن عبد الباقى أبى صخرة ، بن يعقوب ، بن الحسن السبط بن على بن أبى طالب كرم الله وجهه

أما السيدة زينب بنت نصر والدة الامام المهدى فهى سيدة من سلالة شريفه أيضا ، اذ يتصل نسبها بالعباس عم النبى صلى الله عليه وسلم أبن عبد المطلب بن هاشم

وفى ليلة ٢٧ رجب سنة ١٢٦٠ هـ اكتوبر ١٨٤٥ م أشرق بدر حياة المهدى فى سماء الوجود وكان مولده بجزيرة لبب أحدى جزائر الاشراف باقليم دنقلا وقد أطلق عليه والده اسم «محمد احمد» ويعاش يعرف بهذا الاسم الى أن جهر بالدعوة المهدية وهو فى الثامنة والثلاثين من عمره فنقش على خاتم توقيعاته لا اله الا الله محمد المهدى بن عبد الله

وبعض أفراد الاسرة صناعا ذوى مهارة فائقة فى نجارة السواقى وبناء السفن الشراعية وحدث أن تعاقدت الحكومة يومئذ مع السيد عبد الله والد المهدى على انشاء عدد من السفن فرحل والد المهدى باسرته وبعض ذوى قرابته سعيا وراء الغابات وكان ابنه محمد احمد فى سن الطفوله ونزل عند قرية «كررى» التي تقع على قيد ١٥ ميلا شمال امدرمان ، وكانت كررى يومئذ

أحدى القرى التى تصلح أشجار غاباتها لبناء السفن وظل السيد عبد الله يزاول مهنته هناك الى أن أدركته المنيه سنة ١٢٦٥ هـ - ١٨٥١ فمات تاركا طفله محمد احمد فى الخامسة من عمره وقبره معروف بجبانة « النوفلاب » على مقربة كررى

وبعد وفاة عميد الاسرة رحل أخوة المهدى ومن معهم من الاقرباء من كررى الى مدينة الخرطوم مزاولين مهنة النجارة عند المقرن مقرن النيل الابيض بالنيل الازرق ، أى مكان اقترانهما واجتماعها

وبعد ست سنوات من وفاة أبيه توفيت السيدة والدته سنة ١٢٧١ هـ - ١٨٥٧ م وهى مدفونه بمقبرة الخرطوم القديمة بجانب المستشفى الملكى ولقبرها الآن اثار وبيارق تدل عليه فعاش المهدى بعدها يتيم الابوين وهو غلام فى الحاديه عشر من سنى حياته

على أن المهدى قد وجد فى أخيه الاكبر محمد خير كفيل وكان محمد يرى فى اخيه محمد احمد كثيرا من الظواهر التى تدل على انه طفل غير عادى وانه سيكون له شأن عظيم

كانت طلعته بهيه وكان قوامه متناسقا قوى البنيه وكانت الابتسامة لا تفارق وجهه الاسمر فتظهر ثناياه ناصعه البياض وفى فكه الاعلى فلجه تنبىء على حسن طالعه وكان عذب الحديث

وقال سلاطين باشا

كان المهدى قوى البنية عريض المنكبين عيونه عسليه براقه ولحيته حالكه السواد وفى خديه شلوخ وكان دائم الابتسامه لا تفارقه حتى فى اللحظه التى يصدر فيها أخطر القرارات وأشد الاحكام على الذين يعبثون بتعاليم الدين

وخلص ونجت باشا حاكم عام السودان الى القول بأن الذى لاشك فيه هو أن المهدى كان يتمتع بقوة أدراك خارقه للعاده مكنته من أن يخضع السودان لأرادته قبل أن يرحل من الدنيا ومن الصعب أن نصل الى دراسه شامله عن شخصية هذا الرجل وقد مر على ثورته ثمانون عاما ولكنه من الموكد لم يكن مخاطرا وحتى ولو فرضنا أنه اتخذ من شعار الدين ستارا لمطامعه يجب أن نعترف بأنه كان موضع الاحترام الكامل من أنصاره الذين كانوا على استعداد للتضحيه من أجله يستوى فى ذلك الامير والخفير احاطوه بهاله من

القدسيه والتبجيل وأستطاع هو بدوره أن يخلق فى صفوفهم النظام وفى قلوبهم الشعور بالواجب شيئان لم يكن معمولا بهما فى وحدات الجيش التركى فى السودان بجانب ذلك فقد حقق لبلاده انتصارات باهرة

وجاء فى كتاب « مصر والسودان » للدكتور محمد فؤاد شكرى: صفحة ٢٩٠

ولد محمد احمد بجزيرة لبب التى تبعد بنحو ١٥ كيلومتر جنوب مدينة دنقلا فى ١٢ أغسطس ١٨٤٤ واظهر من حداثته ميلا لتعليم العلوم الدينية فدرسها فى الخرطوم وبربر وأشتهر بالورع والتقوى والزهد والتف حوله التلاميذ وانشأ بالخرطوم (مدرسة) فى سنة ١٨٦٣ ثم صار فقيها بعد ذلك بخمس سنوات ١٨٦٨) ويقول البكرى عاد محمد احمد من الابيض الى جزيرته (أبا) فهرع الى غاره للصلاة والصيام والتهجد والرياضة القاسية وخرج من غاره بعد خلوة رياضية روحية دامت أربعين يوما هزيلا ضامرا وضاء المحيا ازهر البسمات فلما دنا منه محبوه سمعوه يردد

بسم الله ما شاء الله لا يسوق الخير الا الله ، ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله ، ما شاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، ما شاء الله لا حول ولا قوة الا بالله ، انى امنت بالله ، ورجعت الى الله ، وتوكلت على الله ، واعتصمت بالله ، فلا حول ولا قوة الا بالله وهو حسبى ونعم الوكيل

وفى غرة شعبان سنة ١٨٩٨ هـ ٢٩ يونيه سنة ١٨٨١ أعلن الى الفقهاء والاعيان ومشائخ الطرق الصوفية ورؤساء العشائر والقبائل انه « المهدى المنتظر »

فبعث بمنشوراته يشرح لهم فيهاما رأى وما سمع يقظة ومناما

وجاء فى الصفحة ٣٩ من رسالة نال بها الاستاذ ابراهيم شحاته حسن درجه الماجستير من درجة ممتاز من جامعة القاهرة هذا العام وموضوعها الادارة المهدية فى السودان ،

لم يكن ظهور المهدى فى شخص محمد احمد امرا غريبا وخاصة بين سكان جزيرة أبا بل كان الامر كمايقول ثيوبولد

طبعيا بالنسبة لهم بل هو تفسير رائع لحضراته ومعجزاته وزهده وندواته الدينية ولكل شيء قدروه وتاقوا فشخصية محمد احمد لا شك أنها كانت قد تبلورت فى هذا الاتجاه المهدوى الذى يؤدى الى أحياء الدين ونصرته على الدنيا ، فكان اعلانه المهدية مبدئيا لاصحابه واتباعه فى ربيع الثانى ١٢٩٨ هـ مارس ١٨٨١ ثم اعلانه لها لرجال الدين ومشائخ القبائل التى

مر عليها اثناء عودته من الابيض الى الجزيرة ابا ، وقد أخذ عليهم العهود ومن هولاء الملك ادم فى جبال النوبه الذى كان قد أقام بها سلطة مستقلة عن الادارة المصرية وفى شعبان عام١٢٩٨ هـ ٢٩ يونيه ١٨٨١ كان الاعلان الرسمى لظهور المهدى فى آبا ففى هذا التاريخ قام محمد احمد بارسال كتبه الى مختلف الرجال البارزين باسم محمد احمد المهدى يدعوهم الى المهدية والهجرة الى قدير ، وكان اندلاع المهدية كثورة عندما أضطر الى مواجهة العدوان التركى فى ١١ رمضان عام١٢٩٨ هـ ٧ اغسطس ١٨٨١ وقيامه بتنفيذ الهجرة الى قدير

ويجمل بنا قبل أن نعود الى الخرطوم ان نقول

واصل الامام المهدى نشاطه الدينى لجمع الكلمة منتصرا على قوات الحكومة فهزم القوة التى يرأسها محمد أبو السعود الذى أوفده حكمدار السودان يومئذ محمد روءف باشا الى «آبا» ثم وصل المهدى بانصاره جبل قدير وهزم راشد بك مدير فاشوده فى ٩ ديسمبر ١٨٨١ ثم هزم الشلالى باشا عند جبل الجراده فى ٣٠ مايو ١٨٨٢ مستوليا على الذخائر والاسلحة

وهناك بايعه الناس أفواجا فنظم جيش الانصار ورتب قواده وراياته وخلفائه وجمع دعوات صالحة وصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وايات قرآنيه فى كتاب اسمه الراتب يتلوه الانصار تعبدا وتبركا وزاد انصار المهدى عددا وتقدم من جبل قدير فاحتل كردفان وباره ثم الابيض فى ١٩ يناير سنة ١٨٨٣ وفى ٥ نوفبر ابادفى شيكان حملة هكس باشا المؤلفه من ١٢٩٠٠ مقاتل وكان يصحبهم مراسلو جرائد التيمس والديلى نيوز والجرافيك وقتل هكس وكانت من المواقع الحاسمه التى انتصر فيها المهدى وزاد قوة ونفوذا وسلم سلاطين باشا (دارا)واخذ اسيرا وامتدت الثورة الى بحر الغزال وعين المهدى عثمان دقنه قائدا الجيش شرق السودان وسلمت حاميات طوكر وسنكات

وظل الامام المهدى بالابيض حتى يوم ٥ أبريل سنة ١٨٨٤ حيث غادرها الى الرهد غازيا الخرطوم وبقى بالرهد حتى يوم ٢٢ اغسطس ١٨٨٤ يوم تحرك ركابه الميمون

وتقول هولت :

وقد عرفت اسرة محمد احمد منذ فترة طويلة بانها من سلالة النبى وانها هاجرت قبل ذلك بعدة قرون من ارض الكنوز فى النوبه السفلى جنوب أسوان

اتصلنا بالوجيه السيد الطيب مجذوب الشاعر المقاول نستوضحه مكان قبر والده المهدى بعد انشاء مستشفى الامراض لصدرية الحديث بالخرطوم فافادنا:

ان تلالا من الرمال كانت محيطة بالمقبرة القديمة واقتضى العمل لانشاء مستشفى الامراض الصدريه ازالة تلك التلال وتسوية الارض بمكنات القريدر وكان من الامكان الظاهرة فى المقبرة القديمة مقبرة السيدة والدة الامام المهدى ومقبرة الشيخ وراق وكان فى عقدى مع وزارة الاشغال أن نرجع فى موضوع القبور التى نعثر عليها فى هذا المكان الى رأى فضيلة قاضى القضاة وهذا شرط اشترطه وضمن العقد فعلا وتمسكت بتنفيذه عندما طلب الى تسوية الارض برمتها فرجعت الى صاحب الفضيلة الشيخ حسن مدثر قاضى القضاة انذاك فاحال الموضوع برمته الى صاحب الفضيلة المفتى وكان الشيخ محمد ابو القاسم هاشم الذى حدد لى ميعادا أن نجتمع فى نفس مكان القبور وفى الوقت المعين جاء ومن معه وقرر أن القبور عندما يمر عليها زمن وتكون دارسه واريد مكانها لمصلحة الاحياء فلا مانع وازاء القبرين الظاهرين قبر والدة المهدى ومقبرة الشيخ وراق فقد اخذ فضيلته باقتراحى أن يعاملا معاملة بعض الحكام الاتراك الذين تقع قبورهم فى وسط الخرطوم وبشارع القصر فقد اعيد تسويرها بصفة رسمية وقد وجدنا قبر والدة المهدى ظاهرا ومن حقها أن تعامل معاملة قبور اولئك الحكام وابسط الفروض أن ابنها كان حاكما لهذا البلد فكتب فضيلته خطابا رسميا الى سيد مدير وزارة الاشغال وبصورة منه لى وتنفيذا لذلك احمد الله على توفيقى الى ادخال القبرين داخل سور مستشفى الامراض الصدرية من الجانب الجنوبى الشرقى محاطين بسورين تشبه الحوض من اربع جوانب

ولما علم الامام عبد الرحمن المهدى بحقيقة ما حدث استدعانى واكد لى أن هذا القبر هو للسيدة والدة الامام المهدى وشكرلى على وقفتى واهتمامى بقبور المسلمين

الخرطوم وغردون
للمرة الثالثة والاخيرة

غادر غردون محطة القاهرة فى يوم ٢٦ يناير سنة ١٨٨٤ فى رحلته النهائية للسودان والاخيرة فلا عودة ولا رجوع بل ذكر فى ذمة التاريخ وكما يقول الدكتور شبيكه ومن غرائب المصادفات انه لقى حتفه فى فجر ٢٦ يناير من السنة المقبلة (١٨٨٥)

واضيف صدفة ثانية :

ان يوم قيامه بالقطار من القاهرة بعث الشيخ العبيد محمد بدر المقيم (بام ضبان) خطابا الى علماء الخرطوم وهو رجل مشهور له بالصلاح والنظر الثاقب بعواقب الامر يطلب منهم ايقاف سفك الدماء بين المسلمين بالتسليم للمهدى وهذا نص ما نقله البرق من الحكمداريه الى المعيه بتاريخ ٢٧ يناير سنة ١٨٨٤

يوم تاريخه حضر جواب من الشيخ العبيد المقيم بجهة العيلفون الى العلماء بالخرطوم وهو :

الشريف حسن المجدى قاضى الخرطوم والفقيه عبدالقادر قاضى الكلاكله والفقيه موسى مفتى المجلس المحلى تاريخه ٢٤ ربيع اول يفيد انه كان متصبرا للان فى انتظار تسليم الخرطوم للمهدى من دون سفك دماء وانه يحب لهم التسليم كما يحب لنفسه لان فى ذلك الراحة الكاملة التى تحقن دماء المسلمين واموالهم وان جميع البلاد حصلت بها الحركات ويطلب منهم الاجابة بالقبول بعد الاتفاق معنا او رفض طلبه وحيث ان ذلك مما يقتضى العرض عنه للاعتاب السنية فبناء عليه لزم العرض للاحاطة

وجاء الرد فى نفس اليوم من القاهرة برفض طلب الشيخ العبيد رمزعجه اخرى لغردون فقد بلغه وهو ببربر فى يوم ١١ فبراير خبر انهزام بيكر فى واقعة التيب الثانية يوم ٤ فبراير وكان قد عقد على تعيين بيكر لمصادمة عثمان دقنه فى شرق السودان اما الاعظيمه اقلها عدم امداد الخرطوم او بربر بانصار شرق السودان

وفى ١٣ فبرائر عقد غردون فى بربر مجلسا (سريا) حضره المدير حسين باشا خليفه والعمد والاعيان فابلغهم أن الجناب العالى ترك السودان لاهله وانه قادم الى السودان بقصد ارجاع العساكر الى مصر ليس الا : واطلعهم على خطاب الخديوى له وهو امر الخديوى توفيق لغردون فى ٢٦ يناير ١٨٨٤ الخاص باخلاء السودان وانسحاب الجنود والموظفين المصريين ومن يرغب من السكان وارجاعهم لمصر وعزل غردون الحكام الاتراك وشكل مجلسا من الوطنيين للحكم بالشورى واصدر منشورا صرح فيه بتسمية محمد احمد بن السيد عبدالله سلطانا على كردفان والصق منشورا على باب المديريه وباب الضبطيه وفى شوارع المدينه بان :

المديريه من الآن فصاعداً مستقلة عن القاهرة وانما تخضع لغردون نفسه كحكمدار للسودان ومندوب للحكومة البريطانيه

وقد وصف ستيوارت هذا العمل من جانب غردون بانه (قفزة فى الظلام) ووصفه الاب اوهروالدر : انه الخطأ الذى سدد به غردون الى نفسه ضربة الموت وقضى به على مهمته وقال عنه ونجت المنشور ذو الاثر المميت الذى اضاع السودان ويقول كرومر انونجت ابلغه ان بحوثه فى هذه المسألة جعلته يصل الى نتيجه تقرر ان صعوبات الجنرال غردون زادت زيادة عظيمه بسبب هذا الاجراء الذى أتخذه فى بربر واطلع غردون فى المتمه الحاج على ود سعد وغيره من المسئولين على ذلك الفرمان (السرى)

بلغ غردون الخرطوم فانطلقت المدافع تحى الحكمدار الجديد القديم وتقدم اليه قناصل الدول وجميع الموظفين فقدم اليهم سياسته واضحة صريحه واعلن بعد قراءة فرمان توليته ما انطوت عليه غاياته ومقاصده . ثم امر فجمعت سجلات الضرائب على الاطيان فى ساحة عامة ووضعت فوقها السياط والآت التعذيب واضرمت فيها النيران وطاف بالسجون فاطلق سراح الجميع ما عدا القتله ومضى فتفقد الحصون وخطوط القتال التى اقامها عبدالقادر باشا حلمى حول الخرطوم فسر منها سرورا بالغا ونظم بعد ذلك القوات واخذ فى تنفيذ سياسية الاخلاء وكان شعار غردون فى سياسته الجديده كما يقول مؤرخه بولجر (السودان للسودانين)

وصل غردون الخرطوم يوم ١٨ فبرائر سنة ١٨٨٤ وجاء فى تاريخ شقير انه نشر المنشور التالى :

« ان السودان قد فصل عن مصر فصلاً تاما وقد جئتكم حاكما مفوضا عليه

فجعلت محمد احمد سلطانا على كردفان والقيت الاوامر الصادرة فى منع تجارة الرقيق واعفيت عن المتأخر من الضرائب لغاية سنة ١٨٨٣ وعن ضرائب سنتين فى المستقبل وسأجعل حكومة وطنيه من اهل البلاد ليحكم السودان نفسه بنفسه ، وقد ندبت الشيخ عوض الكريم اباسن مديرا على الخرطوم »

ويقول نعوم شقير

لم نعلم الحكمة التى أرادها غردون فى انشاء الغرض من رسالته لاهل السودان ثم فى تسمية محمد احمد سلطانا على كردفان فان محمد احمد قد اصبح بعد واقعة شيكان سلطانا معنويا على السودان كله وسلطانا فعليا على جميع السودان الغربى فهل يحتفل بعد بلقب (سلطان على كردفان) من حكومة جرد سيفه لقتالها وقهر جنودها المرة بعد المرة وما الفائدة فى اعطائه هذا اللقب رسميا ثم ما الفائدة فى تبليغ الاهليين قصد الحكومة فى اخلاء السودان فى مثل تلك الاحوال سوى اظهار العجز امام المهدى وحمل الاهلين الذين كان لهم بقية امل فى الحكومة على تركها بتاتا والانضمام الى المهدى قبل فوات الفرصه

جاء فى الفصل العاشر من كتاب (السيف والنار فى السودان) تاليف سلاطين باشا :

« انه لما هزم المهدى هكس باشا واباد تجريدته تحقق المهدى ان السودان كله قد صار تحت قدميه وان مسألة الاستيلاء على الخرطوم لم تكن الا مسألة وقت وكان أول أعماله عندئذ أن ارسل قريبه محمد خالد زقل الى دارفور حيث كان يعرف انه لن يجد أية مقاومة وبواسطة كرم الله أستولى على بحر الغزال وكان الملك ادم قد خضع للمهدى وجاء هو واسرته وسكن البحر الابيض ورسخت المهدية فى شرق السودان ووجدت وطنا معدا لها بين العرب الشجعان النازلين هناك .

وامتدت الجيوش المصرية فى سنكات أما تيب وكانت نكبة الجنرال بيكر قد زادت العرب ثقة فى أنفسهم وكان مصطفى هدل يحاصر كسلا

اما فى الجزيرة بين النيل الابيض والنيل الازرق وكان صهر المهدى ود « البصير » قد هزم الحكومة مرات عديدة على هذا الحال كان الموقف حين وصل غردون بربر فى ١١ فبراير وفى ١٨ فبراير وصل الخرطوم فتلقاه سكانها وموظفوها فى حماس وبشر وكان المتصلون به وطلاب المنفعه

يعتقدون أن الحكومة المصرية لن تترك مثل هذا الرجل وحيدا من غير معونة وكان أول أعماله أن اذاع منشورا يعلن فيه تعيين (المهدى) حاكما سلطانا) لكردفان والاذن له بالنخاسة والرق ، مقترحا الدخول معه فى مفاوضات وطالبا منه الافراج عن الاسرى ومرسلا اليه الهدايا الثمينة من الملابس . فلو أن غردون قد اذاع هذا المنشور ومعه فى الخرطوم القوة التى يستطيع أن يسير بها الى كردفان نه ما اراد . ولكن الاخبار التى وقف عيها المهدى قد أعلمته ان غردون جاء الى الخرطوم وليس معه سوى قليل من الحامية وليس من شك فى أن المهدى قد اعجب من غردون كيف يعرض عليه أن يمنحه بالكلام ما حصل عليه هو بالسيف وما ليس فى وسعه أن يسترده وقد رد المهدى على هذا العرض بكتاب فيه أن يسلم مدينة الخرطوم ويحقن بذلك الدماء

وقال صاحب كتاب النيل الابيض عرف غردون بتمسكه باهداب الدين وشغفه بقراءة الانجيل حتى الانجليز أن يصدقوا بعض النقاد الذين تحدثوا عن معاقرة غردون للخمر واشياء أخرى وقد عاش غردون عزبا طول حياته وكانت بعض تصرفاته غامضه بعض الشىء معروفة للناس لكنها غير مفهومه

سجل الحوادث سنة ١٨٨٤

فى ١٨ فبراير وصل غردون الخرطوم

وفى ١٢ مارس قطع الانصار خط التلغراف

وقرر غردون وقف زحف الانصار على الحلفاية فاشتبك جنوده مع الانصار فى أول وقائع حصار الخرطوم فى يوم ١٣ مارس واستطاع الانصار احتلال الحلفايه وبذلك قطعوا الطريق بين الخرطوم وبربر وعاد غردون الى استخلاص الحلفاية فانهزمت عساكره فى واقعة الشرق بالقرب من الخرطوم فى ١٦ مارس وبهذه الواقعة الحاسمة من ناحية الشرق اخذ الانصار تضييق الخناق على الخرطوم وامدرمان

وفى ٢٢ مارس وصل جواب المهدى لغردون

وفى ٥ ابريل غادر المهدى الابيض الى الرهد

وفى يوم ٢٥ يونيه خرج ود النجومى من الرهد

وفى ٢٢ اغسطس خرج المهدى من الرهد غازيا الخرطوم

وفى ١٦ سبتمبر أرسل ود النجومى انذاره بتحرك المهدى غازيا الخرطوم

الى غردون

وفى ٢٣ اكتوبر وصل الامام المهدى بجيشه

فلما رفض المهدى كتابيا فى ٢٢ مارس ١٨٨٤ قبول السلطنه على السودان الغربى وأخذ يلح على غردون فى التسليم والانخراط فى سلك الانصار تميز غردون غيظا وحسر عن ساعد الجد وعول على الدفاع . فاخذ فى رسم خطته وكانت المدينه محاطه بخندق عميق من النيل الابيض الى النيل الأزرق يمثل نصف دائرة لـه ثلاثه ابواب وهى

أ ـ باب الكلاكلة مما يلى النيل الابيض

ب ـ باب المسلميه وهو مكان محطة السكه الحديديه بالخرطوم الان

ج ـ برى مما يلى النيل الأزرق وذلك من اعمال عبدالقادر حلمى باشا

فزاد الجنرال غردون فى تقوية الاخير وشيد سورا من وراء الخندق وفتح بالسور المزاغيل ليقى الجنود مقذوفات الانصار . ونثر امام الخندق عثرات وعوائق . وكانت بالخرطوم ١٢ باخرة سلحها بالمدافع وفيها من الجنود خمس اورط نظاميه . اورطتان من الجنود المصريه وثلاث من الجنود السودانية و ٢٥ اورديا من الباشبوزق ، فجند سبعة ارادى اخرى علاوة على المتطوعين من الموظفين والاعيان لان الدفاع اصبح عن العرض والمال . فقسم الجنرال تلك القوات الى خمس اقسام

١ ـ بقيادة الاميرالاى حسن بك الهنساوى المصرى ناط به الدفاع عن الطابية الأولى اى طابية الكلاكلة

٢ ـ قسم بقيادة اللواء فرج الزينى ناط به الدفاع عن بوابة المسلميه

٣ ـ بقيادة القائمقام بخيت بك بطراكى السودانى ناط به الدفاع عن طابية برى

٤ ـ قسم بقيادة الاميرالاى ساتى ابو القاسم الدنقلاوى مدير بحر الغزال وكان بماموريته فى الخرطوم وناط به الدفاع البحرى

٥ ـ وقسم بقيادة اللواء فرج باشا امدرمان ناط به الدفاع عن طابية امدرمان

والطوبجيه فى كل تلك الاقسام تحت اشراف الاميرالاى محمد بك العتبانى المصرى

ولما انتهى الجنرال من رسم خطته وأعداد معداته كتب خطابا الى

المهدى بعنوان (الشيخ محمد احمد) اى انه عزله من لقب السلطة على السودان الغربى

وفى ١٠ اغسطس سنة ١٨٨٣ قطع خط التلغراف بين سواكن سنكات

وفى ٢٧ ديسمبر ١٨٨٣ قطع خط التلغراف بين بربر وكسلا فادرك غردون ان لابد من قطع المواصلات بينه ومصر فجاز النيل الازرق الى قصر راسخ بك (بالخرطوم بحرى) وبعث احدى عشر رسالة برقيه الى السير آفلن بارنج (اللورد كرومر) ابلغه فيها بما وصلت اليه الحالة السياسيه فى الخرطوم

واردف ذلك بتلغراف بتاريخ اول مارس سنة ١٨٨٤ قال فيه مانصه :

ولم ازل اعتقد كمال الاعتقاد ، ان اخلاء السودان ممكن ولكن اقول لك انه من المستحيل اجلاء المستخدمين المصريين عن الخرطوم اذا لم تساعدنى الحكومة بما اوضحته اليك) فاجابه كرومر بتاريخ ٢ مارس سنة ١٨٨٤ قال فيه :

لقد تلقيت الاحدى عشر رسالة تلغرافيه المرسلة الى منكم فى الاربعة ايام الاخيرة بخصوص السياسيه العامة وانى شديد الرغبة فى مساعدتك بكل طريقه ولكن لم اتمكن من معرفة ما تريده للان ، وارى خير طريقه هى ان تلخص المسأله جيدا وتخبرنى تلغرافيا بما تستصوبه .

فكتب الجنرال غردون يقول : يجب على الحكومة مساعدتى واجابة طلباتى ضرب لا ذنب

وبينما كان الناس يعللون النفس بانفراج الازمة ووصول الحملة الانجليزيه اذ قام الشيخ المضوى عبد الرحمن المحسى خريج الازهر من سكان ضواحى الخرطوم فاجتمعت حوله قوات تقدر بعشرة الاف مقاتل وشرعت فى حصر الخرطوم وكانت تلك القوات بقيادة الشيخ ابراهيم محمد بدر ومعه من امراء القبائل فسارت لطردها قوة من غردون بقيادة الاميرالاى ابراهيم فوزى بك وحدثت بين القوتين مناوشة جرح فيها براهيم فوزى بك وعادت قوته بلا جدوى

اما المهدى فانتدب قائده المشهور الحاج محمد ابو قرجه ولقبه بامير البحرين وامره بالزحف على الخرطوم وكان جيشه كثيفا فاسرع فى زحفه الى ان جاز النيل الابيض ووجد فى طريقة قوة من جنود الباشبوزق بقيادة الاميرالاى صالح بك الملك الشايقى (باشا) الذى فتك بالطيب ود حمدون

داعيه المهدى فى ود مدنى ، وحفر خندقا فى فداسى تحصن به ليحمى طريق المواصلات بين الخرطوم وسنار التى كان يحصرها عامر المكاشفى ود (كريف) وعبد القادر أبو الحسن وغيرهم

فاحاطت قوة ابو قرجه بحامية فداسى أحاطة السوار بالمعصم وأطلقت عليها نارا حاميه حتى اكرهتها على التسليم واسر قائدها وبضعة سناجق من ضباطه ثم واصل ابو قرجه زحفه الى الخرطوم وحصرها . وهناك قطعت المواصلات التلغرافيه بين مصر والخرطوم

وفى ١٩ مايو سنة ١٨٨٤ سقطت مديرية بربر

فرأى الجنرال ضرورة طرد حامية ابو قرجه فانتدب لها قوة نظاميه بقيادة محمد على باشا واخرى من جنود الباسبوزت بقيادة خشم الموس بك فهجمت القوتان على حامية ابى قرجه وبعد معركه دمويه هائله قتل حصان ابى قرجه وسقط راكبه فظن اتباعه أن اميرهم قتل فارتدوا بعد خسائر فادحة

وفى اواخر اغسطس سنة ١٨٨٤ تقدم محمد على حسن باشا بجيشه الى بلدة العيلفون فبدد بعض الانصار فيها وجاز النيل الازرق قاصدا بلدة أم ضبان الا أن كمينا من الانصار احاط به واعمل فى جنده السلاح الابيض فقتل الباشا ومزقت جنوده وكان أشبه بواقعة شيكان وفى ٤ سبتمبر سنة ١٨٨٤ هاجم الاميرالاى ساتى بك قومندان الوابورات الحربية الامير الشيخ فضل الله فقتله فى شجر محوبك وحدثت بينهما حرب هائلة اظهر الفريقان فيها من ضروب الشجاعة ما يدعو الى الاعجاب

هذا وقد صارت القوات المهدية تتقاطر على الخرطوم بقيادة عبد الرحمن النجومى

ويقول مصدر اخر عن اول حصار الخرطوم

وفى يوم ١٦ مارس سنة ١٨٨٤ زحف ابراهيم والعباس ابناء الشيخ العبيد ومعهما سبعون الف مقاتل على الضفة الشرقية من الخرطوم واطلقوا النيران على المدينة وكان جل مقذوفاتهم يسقط على سراى غردون لان موقعهم كان تجاهها وكان غردون داخلها حتى قتل احد كتبتها

وفى صبيحة ٢٢ مارس ظهر على أستحكامات الخرطوم ثلاثة من الانصار فى كامل أهبتهم وسلاحهم يحملون كتبا وهدايا وعند وصولهم باب الحصن اشهروا سيوفهم فامرهم الضابط باغمادها فلم يطيعوه فامر غردون بالمحافظة عليهم حتى يصلوه بالسراى فدخلوا عليه وعلى اعينهم سيما الشعور بالعظمة والاعتداد بالنفس وقالوا

السلام على من اتبع الهدى وسلموه الكتب والهدايا وكان الخطاب يحوى رد المهدى على الخطاب الذى بعث به من بربر معرضا فيه عليه ملك اقاليم الغرب مما جاء فى رد المهدى

انه ما اراد ملكا او سلطانا وما طلب من مخلوق منة أو مكرمة وأنما بعث برسالة المهدية الكبرى لهداية الخلق واذا كان غردون يريد بالمسلمين خيرا كما يزعم فاولى به ان يستضىء قلبه اولا بنور الاسلام وعند ذلك ينال خير الدارين ومع الرسل هديه هى جبه مرقعه وسراويل وعمامه كلها من الدمور وهى من النوع الذى يعمل اشرعة للسفن الشراعية ليلبسها غردون ان هداه الله وقبل الدخول فى المللة المحمديه وبعد ان اطلع غردون على الكتب وشاهد الهدايا حرر لهم خطابا للمهدى قال فيه

اننى ادعوك الى السلم وانت تدعونى الى الحرب وادعوك الى حقن الدماء وأنت لا تميل الا الى سفكها فاقول لك الان

لا بد من قهرك وكبح جماح طغيانك ومهما يكن عندك من الاتباع فلا بد ان ترضخ صاغرا او تهلك حيال قوتى الحكومة الخديويه والدولة الانجليزية وعاد رسل المهدى اليه فى الرهد وكان قد أنتقل اليها بجيوشه المنصورة فى اواسط ابريل سنة ١٨٨٤

فى اوائل رجب ١٣٠١ وصل ابو قرجه بجيش جرار الى قرية الجريف على ضفة النيل الازرق وعسكر هناك وشاد اثنتى عشر طابية حيال استحكامات الخرطوم وانضم اليه دعاة المهدى الذين كانوا حول الخرطوم وفى مقدمتهم الشيخ مضوى عبدالرحمن وهجم ثانى يوم وصوله

على استحكام الخرطوم فسكت عنه الجنود ولم يرموه بالنيران حتى صار على قرب الف ومائتى متر من الاستحكام أنفجرت فيهم الالغام التى كانت مدفونه فى الأرض واطلق عليهم الجنود النيران فتقهقر ابو قرجه ويستر صاحب تاريخ السودان بين يدى غردون وكتشنر فيقول

وكانت هذه الالغام قد وضعت قبل زحف ابى قرجه بنحو عشرين يوما وقام بتجربتها غردون والمستر بادر قنصل انجلترا فى الخرطوم

وعاد ابو قرجه الى معسكره بالجريف واخذ يوالى اطلاق النار على الاستحكام من ذلك التاريخ الى اليوم السابع من شهر شوال ١٣٠٢ وفى ذلك التاريخ انتدب غردون محمد على باشا وخمس بواخر صفحت بالفولاذ وخمس الاف مقاتل فتلقاهم بثبات عجيب وما زالوا فى كروفر حتى جاء الليل ولم تسفر الحرب عن نتيجة فثابر القائد على خطته واحاط بطوابى الانصار وضايقها من جهة البحر وهاجمها من البر يومين وفى الثالث تمكن من الاحاطة بطوابى الانصار فاستولى عليها بعد الظهر وغادرها ابو قرجه ببقية جيشه واستول الجنود على ما فى المعسكر من المؤمن والذخائر التى ساعدت كثيرا سكان الخرطوم

وافى كتاب ابو قرجه المهدى وقدغادر الرهد قاصدا (شاة) بهذه الوقعة فانتدب عبد الرحمن النجومى الخرطوم

وفى يوم ٨ شوال سنة ١٣٠١ بعدعودة محمد على من الجريف سار توا بالقوة التى كانت معه الى جهة الحلفايه وكان بها اولاد الشيخ العبيد وهجم على حصونهم فدافعوا عنها ثلاث ساعات ثم انهزموا واستولى الجند على مواقعهم

والذى ساعد على الهزيمة فى هذه الواقعة وواقعة الجريف هو ارتفاع النيل ومساعدة البواخر للجنود

واقعة العيلفون

لما انهزم الانصار من الحلفايه لحقوا بام ضبان فكتب الشيخ العبيد منشورا استصرخ فيه القبايل وكون جيشا من عشرة الاف مقاتل وفى العيلفون عسكر الشيخ مضوى بنحو خمسة الاف مقاتل

وفى اوائل شهر ذى القعدة سنة ١٣٠١ انتدب اللواء محمد على باشا على خمس بواخر وعشر صنادل ومراكب شرعية فقاتلت جماعة الشيخ مضوى وتقلبت عليهم حتى لاذوا بام ضبان

فقصد جيش اللواء محمد على باشا أم ضبان وتبعد عن العيلفون باربعة

الاف فلما توسطت الحملة الطريق خرج عليها كمينان من وسط الغابة كمين من خلف الحملة والثاني أمامها فداهماها على غرة فانتثر نظام الجنود واثخن الانصار فيهم قتلا ونزل القائدوار كان حربه عن دوابهم وجلسوا على الارض حتى قتلوا .

لم ينجو من رجال الحملة الا نحو مئتي جندي فقط !!!

جاءت هذه الواقعه ضربت قاضيه على الخرطوم . اذ فقدت فيها خمسة الاف جندي جلهم من رجال الالاى السوداني الاول ومن اقوى الجنود الذين في الخرطوم

ولازم هذه الخسارة العظيمه خبر زحف المهدى نحو الخرطوم وان عبدالرحمن النجومي على وشك الوصول اليها . فايقن غردون ان مصيره الى الهلكة ولا نجاة له بغير وصول النجدة اليه من مصر .

وفي اواخر شهر ذى القعده سنة ١٣٠١ سافرت بعثة الكولونيل استيوارت نحو الشمال استعجالا للنجدة

وصول أمير الامراء ود النجومي

انتدب عبدالرحمن النجومي لحصار الخرطوم وهو وكيل الراية البيضاء ومعه ستون رايه تبع كل رايه نحو الف مقاتل يخضعون لامير ويخضع هذا الامير لود النجومي وضم اليه عبدالله ود النور ومعه عشرون رايه على مثال رايات ود النجومي واعطاه مدفعا من الكروب وسته مدافع جبليه واصدر اذنا عاما لكل من رغب في مرافقة ود النجومي من قبائل السودان الاوسط ان يرافقوه

سار ود النجومي بجيش يربو على الستين الف سلاح جلهم الحراب والسيوف والمزاريق وعنده نحو عشرة الاف بالاسلحة النارية ونحو عشرة الاف فارس وغادر النجومي الرهد ٢٥ يونيه ١٨٨٤

مكث بضعة اسابيع جنوب الخرطوم مشتغلا باجتياز النيل الابيض من الضفه الغربيه الى الضفه الشرقيه

وفي اواخر ذى الحجة سنة ١٣٠١ وصل الجريف ووضع معسكره في حلة الكلاكلة المتوسطه بين النيلين الازرق والابيض وتجاه نقطة الوسط من استحكام الخرطوم ليكون المعسكر نائيا عن مقذوفات البواخر التى كانت تناوش الانصار . وقسم جنده الى ثلاثه معسكرات واصلح طوابى الجريف وزاد عليها وعهد بالدفاع عنها الى عبدالله ود النور وعبدالحليم

مساعد وشاد طوابى فى قرية «الغرقان» وتولى الدفاع عنها بنفسه واحتل المتاريس بالقرب من النيل الابيض

وعلى ذلك يكون عبدالله ودالنورمن ناحيه حامية الخرطوم اللواء بازاء استحكام برى والمدافع عن هذه اللواء السودانى الاول تحت قيادة بخيت بطراق على النيل الازرق

وطوابى الغرقان حيال نقطة القلب من استحكام الخرطوم وهذه النقطه مقر قومنداق الجنود العام فرج باشا الزينى كما ان طوابى الانصار المحاذيه لها تحت امرة قائد عام هو النجومى . والحامية القائمه بالدفاع فى هذه النقطه خليط من الجنود النظاميين واتراك غير نظاميين ويتوسطها مصريون من سكان المدينه

اما الحامية التى تقابل متاريس الانصار من جهة النيل الابيض فانها مؤلفة من اللواء الخامس المصرى وبعض جنود الباشبوزق وقومندانها اللواء محمد نصحى باشا وفى نقطة القلب باب كبير عليه برج من الحديد المصفح تحيط به جملة طوابى وعليها مدافع من طراز كروب والطراز الجبلى

هذا وقد انضم الى جيش ودالنجومى فى حلة ودشكرالله الحاج محمدأبو قرجه ومحمد ود البصير بجيشه

وجعلوا فى الجريف شؤنه المونه تحت رئاسة الامير حاج خالد حمد العمرابى واقام لها طابية ضمت من الامراء عبد القادر ودمدرع أمير الحسنات والامير الشريف سليمان العبيد والامير الشريف حمد النيل حامد والامير عمر الخليفه محمد سوار الذهب

فحشد هذا الجيش بالجريف ليمد طابية برى اذا لزم الامر وليصدوا المهاجمين الذين يخرجون من الخرطوم ويمنعوا الداخلين لها

اما الامير عبدالله ود جباره واخوانه والامراء العباس الشيخ العبيد بدر وأخوه ابراهيم وأتباعهم عادوا الى محاصرة الخرطوم من ناحية الحلفايه بالشرق فبنوا طابية من جهة قصر راسخ والثانيه مواجهة لسراى غردون

وارسل امير الامراء ود النجومى الخطاب التالى الى غردون :

الامام المهدى يغزو

ان الامام المهدى المنتظر قد تحرك ركابه الشريفه من الرهد غازيا الخرطوم بجيوش لا عد لها فانصحك ان تقابله مع من تختار من الاعيان طائعا طالبا للامان وهو لا شك يؤمنك على نفسك ومالك ومن معك وذلك اولى من سفك الدماء . واما ما ينقله اليك الجواسيس من ان الانجليز قد ارسلوا جيشا

لانقاذك فكله كذب وهم انما ينقلون اليك لتبذل لهم العطاء كعادتك ، وأنا بعون الله قادر على فتح الخرطوم وأخذهـا منك عنوة ولكن سيدالجميع الامام المهدى أمرنى بنصحك والرفق بك حقنا للدمـاء والسـلام على من اتبع الهدى

وكما يقـول المثل السودانى «المكتوله ما بتسمع الصيحه» ، فلم يذعن غردون لما يعلمه حقيقة واقعه املا فى ان تصل النجدة الانجليزية الخرطوم قبل وصول الغازين وكعادته فى عتوه اجاب بالخطاب التالى ،

من غردون باشا والى السودان الى ود النجومى بالكلاكله

اعلم انى لست بمبال بك ولا بسيدك المهدى ولا بما معكما من الجيوش وأمـا خبر قـدوم الجيش الانجليزى فليس هو من اختلاق الجواسيس بل قد جاءتنى به اخبار رسمية من قبل الحكومة الخديويه والدولة البريطانيـة العظمى وسترى عن قريب ما يحل بك من الدمار وتقول يا ليتنى مت قبل هذا ، ولا تعد الى مخاطبتى بعد الآن فهذا آخر العهد بيننا والسلام وتاريخ هذا الرد ١٩ اكتوبر ١٨٨٤

ثم بدأت مقذوفات بروجية وداالنجومى تصل الخرطوم كما تصلها مقذوفات امراء شرق النيل وكل يوم يزداد الضيق على الخرطوم وتحس الغلبه والسقوط حتى ثبتت أقدام الانصار وأنسدت أبواب الأمانى فى وجوه غردون ومن معه

وجاء فى مجلة الخرطوم بقلم الاستاذ محمد براهيم ابو سليم مدير محفوظات السودان عن حصون الخرطوم ما يلى :

شـرع عبدالقادر باشـا الذى خلف رؤوف فى تقـوية دفاع المـدينه فحفر خندقا حولها وبنى حائطا وبعد هزيمة هكس اضـاف كوتلوقن وهو احد ضبـاط هكس بعض الاضـافات الى الحصـون ثم جـاء غردون فاكملهـا وكان الحصن ممتدا من الجهة الجنوبية للمدينه بين النيلين الابيض والأزرق فى شكل نصف دائرة وقد قدر طوله بنحو ٧ الف متر عند الفيضان ونحو ٩ الف متر عند انخفاض النيل وكان الحصن يتكون من خندق عريض يبلغ عمقه فى اقصاه ١٨ قدما وقد كوم التراب الذى اخرج منـه الى الداخل ثم بنى حائط سميك من الطين وجعل المزاغل ليكون ستر ايقى العساكر من نـار العدو ويمكنهم من اجادة التصويب ووضعت هرام فارغـه خلف الخنـدق عثرة فى سبيل العدو وعلى بعد ٢٠ مترا مـن الخندق غرزت فى الأرض اوتاد مـن

الخشب محددة الاطراف ثم ربطوها بالاسلاك على هيئة شباك وعلى بعد ١٠٠٠ متر من الخندق وضعوا دانات ملؤها البارود والمواد الملتهبة فى شكل الغام لتلتهب بمجرد اللمس

وكان الطرف الغربى هو اضعف جوانب الحصن لان النيل يترك فجوة كبيرة عند انخفاضه . وفى اوائل ايام الحصار كانت هنالك سفينتان مسلحتان تقومان بحراسة امدرمان وكان من المقرر فى اول الامر بناء طابية قوية من الحجر او الطوب الاحمر فى هذا المكان صرف النظر عنها بعد ان ارتفع البناء عن الارض وانشئت بدلا عنها نقطة مراقبة للحراسة عند انخفاض النيل

وكان للحصن ثلاثه ابواب هى باب الكلاكلة وباب المسلميه وباب برى اما باب الكلاكلة فكان يدخل منه العربان الذين كانوا يجلبون اللبن والخضروات وقد اغلق هذا الباب عندما وصلت انباء هزيمة هكس ولما جاء غردون امر بفتح هذا الباب ثم عاد فامر بقفله عند بدء الحصار

اما بوابة المسلميه فكانت اكبر الابواب واوسعها وكانت توصد بباب كبير من الحديد يرفع بالاوناش وقدمرت بها الجيوش التى خرجت من الخرطوم للغزو

اما الباب الثالث فكان بابا صغيرا وقد اوصد منذ بداية الحصار لان طابية الانصار فى برى كانت قريبة منه . وقد بنيت الطوابى حول المدينة كانت هنالك طابيه المقرن فى مواجهة جزيرة توتى وكان عليها مدفعان وقد قاومت هذه الطابيه مقاومة عنيفه عند سقوط الخرطوم وكانت باقيه حتى هدمها الانصار فى سنة ١٨٩٧ لبناء طابيه اخرى بالقرب من النيل وكانت على الخندق ثلاث طوابى وهى طابية الكلاكلة وطابية المقرن وفى الشرق بنيت طابيه عند قصر راسخ وفى امدرمان انشئت طابية على بعد ١٢٠٠ متر من النيل وقد حفروا خندقين يحيطان بها ويصلان الى النيل

وجاء فى كتاب النيل الابيض لاتى عن حصار الخرطوم

باندلاع الثورة المهديه شمال الخرطوم وانضمام مدينة بربر الى دعوة المهدى اصبحت مدينة الخرطوم كالجزيرة فى البحر تحف بها قوات الانصار من كل الجهات ومع ذلك استطاع غردون أن يتصل بالعالم الخارجى عن طريق رسل يبعث بهم الى القاهرة فى فترات متقطعة لينقلوا رسائله ويأتوه بالاخبار ومن طريق هؤلاء عرف غردون عن استسلام (سلاطين) مدير دارفور واسره واعلان اسلامه وكذلك عرف من امر استسلام مديرية بحر الغزال واسلام مديرها فرانك لبتون

ولم يكن غردون وحيدا فى الخرطوم فقد كان سكان المدينه يقاربون الاربعة والثلاثين الف شخص ومن بين هؤلاء ثمانيه الاف من الجنود بسلاحهم ولديهم عدد من مدافع الميدان والقوارب النهريه وكانت الذخيرة متوفرة جدا لدى هذا الجيش فقد بلغ المخزون منها مليونين من الطلقات وكان مصنع الذخيرة فى المدينه ينتج اربعين الف عيارا ناريا كل اسبوع . واحتفظ غردون بكميات من المؤن والاغذية تكفى المدينه لتصمد امام اى حصار لنصف عام ولم تكن هناك مشكلة ماء فقد كان النيل يجرى بلا توقف ولمجابهة التزاماته الماليه طبع غوردون عملته الورقيه الخاصه (البون)

ولم تكن الخرطوم مدينه يصعب الدفاع عنها . فالنيل الازرق يحميها من الشمال والنيل الابيض يحيطها من الغرب ويمتد عرضه لاكثر من نصف ميل حتى فى موسم الجفاف وتستطيع القوارب النهريه ان تشق طريقها دون التعرض لنيران الانصار من الشواطىء وقد اقيمت قلعه فى امدرمان تعسكر فيها حامية قويه من الجنود المصريين اما المناطق المحيطة بالعاصمة فقد كان يسيطر عليها الشايقيه الذين لم ينضموا الى راية المهدى بعد

اما المنطقه الوحيده التى كانت تعرض الخرطوم للخطر فى المنطقة الجنوبية ولدرء الخطر وسد هذه الثغره تمكن غردون من بناء استحكامات فيها وحفر خندقا على طول هذه الجهه يربط بين النهرين ويبلغ طوله اربعه اميال على طولها انواع من الالغام والاسلاك الشائكه ونثرت قطع من الزجاج لتعوق تقدم الفرسان والحفاة من جنود الانصار الذى بدأت طلائعهم ترد نحو الخرطوم من كل فج عميق وبدأ حصار المدينة

وانتهى مارس وجاء ابريل وانقضى مايو وحل يونيه ولم يقطع احد فى الخرطوم الامل فى وصول النجدة بين الفينه والاخرى

اورد ابراهيم فوزى باشا رفيق غردون فى سفرته الثالثه والاخيرة الى الخرطوم بعض قصص فيها من الفوائد التاريخية والطرافة ما جعلنا نقدمها للقراء بعد حذف النابىء من الالفاظ ومما روى :

قبل أن يغادر غردون كروسكو كتب كتابا الى المهدى ومعه هدية من نوع الهدايا التى تقدم لمشايخ الاعراب كالبنش وغيرها وفحوى الكتاب كما يأتى بالايجاز :

انني اعترف بك سلطانا على السودان الغربى كله وملكا مطلقا على كل اقاليمه التى هى كردفان ودارفور واننى لما بلغنى ما اصاب اهل السودان من سفك الدماء وتوالى الحروب خامرنى غم شديد ولذا قد عينتنى حكومة جلالة ملكة بريطانيه العظمى وامبراطورة الهند واليا على السودان وصدقت على ذلك الحضرة الفخيمه الخديويه واننى من صميم فؤادى أرغب فى توثيق عرى العلائق الوديه بينى وبين سلطنتكم وارجو ان تسمحوا باعادة المواصلات التلغرافيه واظن ان ادوات ذلك قد تلفت فى غضون الخطوب وقد اصدرت الاوامر الى مركز الحكمداريه بان يعطى لكم كل ما تطلبون من ادوات التلغرافات وان يستقبل رسولكم كما يستقبل اعظم سفير وقد داخلنى حزن شديد لما علمت بقطع طرق السودان الشرقى التى جاءت حائلة بين المسلمين وبين مكة المكرمة التى يقصدونها فى كل عام لاداء فريضة الحج وزيارة قبر النبى عليه الصلاة والسلام فهيا بنا لفتح هذا الطريق والغاء السلاح لنشيد اركان الراحة وتوطيد دعائم السلام وقد طير رسالة برقيه الى الحكمداريه يامرها باستقبال سفير المهدى باطلاق المدافع والزينات واعطائه كل ما يطلبه من ادوات التلغراف

قال نصحى باشا

شرع غردون فى اخلاء الحاميه (٢٠ فبراير ١٨٨٤) ففرز القسم الاكبر من العساكر المصريه وارسلهم بقيادتى الى امدرمان على نية ارسالهم الى مصر والاكتفاء بالعساكر السود الى ان يتم اخلاء البلاد وفرز ستيوارت باشا بامره المرضى وعيال الضباط والعساكر الذين قتلوا فى شيكان والعساكر الغير لائقين للخدمة العسكريه والمرفوتين من الموظفين والكتاب وشرع فى تسفيرهم شمالا هم ومن اراد من التجار المصريين وغيرهم وامر ابراهيم باشا حيدر قومندان خط النار سابقا فذهب الى بربر واقام هناك ماموراً بتسفيرهم هم والتجار المقيمين فى بربر فارسلهم عن طريق كورسكو

ثم لحق بهم وقدر مجموع من نزل بالف شخص

وكان ابن الشيخ العبيد لما علم بقدوم النجومى لحصر الخرطوم قد حشد جيوشه وتقدم لحصرها من الشرق فاسرع غردون واخرج عساكره من الحلفاية وهدم منازل قبة الشيخ خوجلى ومنازل قبة الشيخ حمد ولكنه ابقى على القبتين وعلى محل السادة المرغنيه فى حلة الشيخ خوجلى فجعل ابن الشيخ العبيد مدفعا فى محل السادة المرغنيه وقعد لحصر الخرطوم ومعه الشيخ مضوى • وارسل اليه النجومى بامر المهدى عبدالله ود جباره وابوبكر ولد عامر ليساعداه على الحصار بتلك الجهة وهكذا حصر الخرطوم من جهة الشرق والجزيرة وترك جهة امدرمان للمهدى وكتب النجومى الى غردون

اعلم انى ود النجومى أمير امراء جيوش المهديه الملقب بسيف الله المسلول وفاتح كردفان والداير وقد جئتك الان بجيش لا طاقة لك به ومدافع لا قدرة لك على احتمالها فسلم تسلم ولا تسفك دماء العساكر والاهلين بعنادك والسلام

لما بدأ حصار الخرطوم كانت الخزانه الاميريه خالية من النقود فاصدر غردون اوراق بون من قيمة قرش واحد الى الف قرش وكتب على كل ورقه ما يأتى (هذا المبلغ مقبول ويجرى دفعه من خزينة الخرطوم أو مصر بعد مضى سته شهور من تاريخه ابريل ١٨٨٤) ويلى ذلك ختم غردون وتوقيعه بخط يده

وصرفت مرتبات الحامية والمستخدمين من هذه الاوراق ولكن التجار لم يقبلوا التعامل بهذه الاوراق فرفعوا اثمان الاشياء الى درجة جعلت قيمة المائة قرش لعشرين قرشا فقبض غردون على اثنين منهم وامر بابعادهما عن الخرطوم خارج الحصون ثم رق لهما واعادهما الى المدينه • وبالرغم من التشديدات سقطت قيمة اوراق البون حتى صار الصرافون ياخذون المائة قرش بقرش واحد واستمر هذا السقوط الى نهاية الحصار وسقوط الخرطوم

ولم يكن هذا السقوط واقفا عند البون وذلك ان قيمة الجنيه الانجليزى سقطت حتى صار الصرافون لا يقبلونه الا بريالين اعنى اثنين وثلاثين قرشا مصريا وتناول هبوط قيمة الجنيه صنف الذهب كله • فان الاوقيه من الذهب السنارى الذى هو كالذهب البندقى تباع بثمان

ريالات مجيدية او اقل وليس لذلك سبب غير ان الذهب في الخرطوم اكثر من كل أصناف المعاملة وصغار الباعة يأبون التعامل بالمسكوكات الذهبية مثل سائر اهالي السودان ويفضلون الريال المجيدي على أي نوع كان من النقود وكانت اوراق البون في بداية اصدارها مكتوبة بخط اليد وفي ذات يوم جاء الى صراف الخزانة شماس من القسوس الافريقيين كان بيده أوراق البون يروم توريدها في الخزانة واخذ رجعة بها على مالية مصر وكانت هذه الأوراق مما حصله هذا الشماس من ثمن اثمار بستان لاولئك القسوس واسم هذا الشماس دومينكو

ولما قلب صراف الخزانة تلك الاوراق ظهر له أن بعضها مزور فامسكها وساق دومينكو الى غرفة وكيل المالية الذي تحقق تزوير من تلك الاوراق المزورة عندها أمر باعطائه بدلها وبث العيون في المدينة للوقوف على الفاعل حتى اعترف صابر واخوه بانهما الفاعلان وضبطت الالة التي صور عليها ختم غردون وتوقيعه وقالا أن الذى أضطرهما لارتكاب هذه الجريمة هو الضنك المسبب عن الحصار ، ومن ثم أمر بطبع أوراق البون في المطبعة الاميرية ولم يجسر أحد بعد ذلك على تقليدها

فتذمر الجنود من هبوط البون فاخذ غردون يطلب من الاعيان نقودا بوجه السلفة فكانوا لا يقدمون الاقليلا واخيرا قال لهم انى أستدين منكم لنفسى لا للحكومة واجعل لكم فوائد على كل ما أستدينه منكم فتسابق الناس الى أجابته لانهم كانوا يعتقدون فيه الوفاء فقدموا له في يوم واحد عشرة الاف جنيه حرر بها كمبيالات على نفسه بخطه وختمه وجعل مواعيدها كلها وصول الحملة الانجليزية الى الخرطوم وبهذه الطريقة أجتمع لديه من المال ما قام بمرتبات الحامية وخفف عنها ما كانت تتذمر من هبوط أوراق البون ذلك الهبوط الفاحش

وايد شقير مسألة تقليد ورق البون واضاف ان صابرا واحمد ابنى الشيخ عبدالغنى السلاوى قد قلدا ختم الحكمداريه (وفرمة) غردون بالنقش على القرع وطبعا اوراق بون كاوراق غردون فحوكما بمجلس عسكرى فاعترف ابوهما انهما فعلا ذلك لنظر الضيق الذى صارا اليه فحكم المجلس بحبسهما سنه فصدق غردون الحكم وجعل لوالدهما مرتبا يستعين به على معيشته قدره خمسة جنيهات في الشهر

وضع غردون مدالية فى وسطها الهلال والنجمة مكتوب حولها حصار الخرطوم سنة ١٣٠١ وجعلها على ثلاث: جاءت الاولى ذهبية والثانية فضيه والثالثة نحاسيه . وكل انسان كان محصورا فى الخرطوم يحق له حمل هذه المداليه من النوع الثالث بغير أن تكون بيده براءة واما النوعان الاول والثانى فيحتاج حاملهما الى براءغردون

المجاعة فى الخرطوم

لما كانت حملة الجنرال هكس ذاهبة الى كردفان أعدت الحكومة نحو مليونى اقه من البقسماط لغذائها وعهدت فى توريدها الى جماعة من التجار واتفقت معهم على أن يكون ثمن الاقة ثلاثة قروش مصرية

ولما ذبحت هذه الحملة وأصدرت الحكومة الخديوية الامر العالى القاضى بترك السودان واخلاء الخرطوم من الحامية وأتلاف المتقلات كان من البديهى ان مثل هذا القدر من الميرة لابد من اتلافه وتقديمه طعمه لاسماك النيل وكان بعض التجار لم يوردوا ماتبقى من المقادير التى كانت تعهدوا به فاغتنم وكيل الحكمداريه هذه الفرصة قبل وصول غردون فاتفق مع اولئك المتعهدين ان يتنازل لهم عن نصف قرش عن كل أقة ويؤدوا اليه الثمن فورا وهو امين المخازن ان يكتب لهم ورقة الخصم التى يقول فيها أن هذه المقادير سلمت اليه ووضعت فى المخازن ونفذ الاتفاق

ثم جاءت الحوادث بخلاف ما كان ينتظره حيث لم تنجل الحامية عن الخرطوم ولم يتلف ما فيها من الذخيرة والميرة وابتدأ الحصار فكان غردون يظن أن ما فى الدفاتر والاوراق الرسمية فى تقدير كمية ما فى المخازن من البقسمات صحيح لا ريب فيه حتى أعلن خبر فراغ ما فى المخازن وقبض على أمين الاقوات وشكل مجلسا من خمسين شخصا من الاعيان والموظفين وظهر له أن مرتكب تلك الخيانة هو وكيل الحكمدارية وانتهى الامر بان صمم غردون على أستدعاء ذلك الوكيل من مصر ليحاكم على ما اقترفه من اثم

والخلاصة ان الغلال التى كانت فى مخازن الخرطوم تبلغ نحو ثلاثين الف اردب وكان راتب كل جندى سبع اقات ونصف من البقسماط واربعة ارطال من الذره

ويوجد حى من احياء المدينة فيه نحو أربعة الاف نفس من الاهالى تقدم الحكومه لهم الضرورى من القوت

فتفشت المجاعة فى المدينة بصورة مريعة جدا حتى أن كثيرا من السكان

تورمت أطرافهم وصاروا لا قوت لهم غير ورق نبات اسمه «اللوبيه العفنه» كان يطبخونه ويعلفونه وصار قوت الحامية من الصمغ مخلوطا مع جمار النخل وقد شوهد أن الذين يقتاتون بهذه الاصناف يصابون بالاسهال وتظهر على وجوههم أعراض تشبه اعراض مرض اليرقان الاصفر ثم تتناقص قواهم الجسمية فى مدة ثلاثة أيام تعقبها اعراض الموت

ومن غرائب ما رايناه فى حصار الخرطوم أن صيادى السمك قبل الحصار كانوا يصطادون فى كل يوم نحو الف قنطار من الاسماك ولما بدا الحصار انقطع وجود الاسماك كانها فرت من قعقعة البنادق وهزيم المدافع حتى أن غردون اشتهى سمكه يتغذى بها قبل سقوط الخرطوم باربعة شهور فلم يتيسر الحصول عليها

وكما ان الاسماك هجرت شواطئ الخرطوم فان أراضى بساتين المدينة كانت تقوم بحاجة سكانها من البقول والفاكهة وفى ابان الحصار تلف كل مزورعاتها ولم ينبت فيها شى من البقول وذبلت اشجار الفاكهة وتلاشت محصولاتها ـ الى أن قال :

وكانت أسعار القوت فى المدينة حتى سقوطها ثلاثين ريالا ثمن كيله الغله وعشرة ريالات ثمن اقه القسماط وخمسة ريالات ثمن أقه اللحم البقرى وكان بعض اسكان يذبحون الحمير الاهلية والحكومة تعاقب من يرتكب ذلك

على أن كثيرا من السكان كانوا فى رغد من العيش والغلال مخزونة عندهم وهم يبالغون فى اخفائها ببطن الارض حتى التزمت الحكومة بتفتيش منازلهم ومقاسمتهم الغلال التى توجد عندهم فكانوا يتدمرون من هذه المشاطرة ويبدون الاغدار بكثرة عائلاتهم واضطرارهم الى القوت هذا وقد اختل نظام الجنود وفر اكثر الجنود ولحقوا بالمهدى وكثير منهم تمردوا على ضباطهم والفوا العصابات تعبث فى المدينه وتسطوا على باعث الاقوات وتختطف ما يعرضونه للبيع من الاقوات وهذه الاسباب وعت سكان المدينه وسراتها الى الاحتفاظ على ما عندهم من القوت مهما عرض المشترون عليهم من الثمن الباهظ

الامام غازيا الخرطوم

رافق الدكتور مكى شبيكه الامام المهدى بقلبه وقلمه من الرهد حتى ريم ابى سعد فكتب :

تحرك المهدى من الأبيض للرهد لوفرة مياهها وكثرة عشبها للحيوانات وليتكامل الانصار والمبايعون من شتى الجهات ـ فكنت ترى كل يوم وفوداً جديدة تعتنق المهدية وتنضوى تحت لوائها ، فوفود الجزيرة وسنار وكسلا والجعليين وما بقى من قبائل العرب ـ كلها اتخذت طريقها نحو الرهد تبايع الامام على النفس والولد والمال ، وفى ابان موسم الامطار حيث امتلأت البرك والمناهل بالمياه وحين نبت العشب استعرض المهدى أنصاره عرضا عسكريا عظيما وتحرك الجمع وأكثرهم بنسائهم واولادهم ومعهم مايمتلكونه من متاع الدنيا وضروريات الحياة ومشوا ببطء فى أرض رحبت بهم . فالطبيعه مزدهره والمياه والعشب متوافرة والناس يتلقونهم بكل اجلال وترحيب ، وليس لهم مشاكل نقل أو مؤن أو ذخائر فاغلبيتهم الساحقة تحمل السيوف والحراب وهى أسلحة على استعداد دائم للعمل . ومن كان يحمل الأسلحة الناريه توافرة ذخائرها مما غنموه من الوقائع السابقه . واقواتهم مما يحملونه من ذرة وما يذبحونه من ماشيه واغنام . وحالتهم المعنويه فى القمة من حيث السمو فوراءهم تاريخ حافل بالانتصارات المتواليه وهاهم أستضاءوا بنور الدين بعد أن كانوا فى ظلمة الالحاد والبدع والضلالات وهاهم يتشوقون ويتلهفون لليوم الذى يدخلون فيه الخرطوم . فمن مات فقد فاز بالشهادة ولقى ربه ومن كتبت له الحياة نعمت نفسه بمساهمته فى القضاء على عهد الظلمة والجهاله الدينيه وشاعر المهدى الشيخ محمدعمر البنا ينشدهم قصيدته التى مطلعها

الحرب صبر و اللقاء ثبات والموت فى شان الاله حياة

وفى منهل شات أمر بحط الرحال والراحة حتى يتكامل الجمع قبل استئناف الزحف شمالا على ضفة النيل الابيض

وهناك وافاه استاذه ـ الشيخ محمدشريف ود نورالدايم . وكان ما كان بينهما من خلاف قبل المهدى . وادرك الاستاذ ان الظروف تقضى بالاذعان لتلميذه وقد علا نجمه وغابت شمس الحكومة المصريه . وها هى بربر قد سقطت وانسد طريق الانسحاب الى مصر . فاحسن التلميذ لقاء استاذه رغم ما كان بينهما من تباين وتنافر وما نسى فضل استاذه عليه عملا

بالحديث « من علمنى حرفا صرت له عبدا » وما كان المهدى ليأبه او يعترف بما ارتكب من اخطاء قبل المهديه ، فهى قد محت ما قبلها وخطت صحيفه جديدة وتسمح الخطيئات عندما يضع المجاهد يده فى يد المهدى ويبايعه . وزيادة فى الاكرام وابتهاجا بهذا الحديث ـ حدث طاعة الاستاذ وولاته ـ نحرت النوق احتفاء بالاستاذ

وقام الجمع حتى نزلوا عند الدويم ومن ثم تحركوا شمالا وادركهم عيد الاضحية فى الترعة الخضراء ، فى كل يوم جديد يتلقى الامام الوفود ويبايعونه ويتلمسون العفو والمعذرة لتوكلهم وتباطئهم الى هذا الحد .

واخيراً وصل الانصار وعددهم ينيف على الستين الفا وحطوا فى ديم ابى سعد مسافة ساعة واحدة جنوبى طابية امدرمان فى يوم ٢٣ اكتوبر ١٨٨٤

وكان هؤلاء الانصار على مراتب متفاوتة فى المقام والكرامة بحسب اسبقيتهم فى الانضمام لى نصرة الدين وتحرير الوطن فتلاميذ المهدى الذين صحبوه قبل المهديه فى المرتبه الاولى ويقال لهم ابكار المهدى وفى الثانيه أنصار أبا والثالثة أنصار قدير والرابعة انصار كابا

وكان المهدى يلبس جبة مرقعة فوق سراويل من الدمور ويتنطق بنطقة من الخوص وعلى رأسه طاقيه (مكاويه) يلف عليها عمامة كبيرة بيضاء مفلجه ويسدل عذبة على كتفه اليسرى طولها نحو نصف متر ويضع على عنقه سبحه وفى رجليه حذاء او نعلين وعمم هذا اللباس على رجاله وسماهم الانصار والاصحاب والاحباب فى الله

البيعه

وصل الانصار (ديم ابى سعد) وفى اعناقهم بيعة نصها :

بايعنا الله ورسوله وبايعناك على الطاعة والجهاد فى سبيل الله . لا نسرق ولا نزنى ولا ناتى ببهتان تفتريه ولا نعصيك فى امر بمعروف ونهى عن منكر . بايعناك على زهد الدنيا وتركها وان لا نفر من الجهاد رغبة فيما عند الله

تشبه الامام المهدى بالنبى صلى الله عليه وسلم فى جميع أعماله وجعل جل غايته أعادة الاسلام الى ما كان عليه فى أول أمره فى زمن النبى صلى

الله عليه وسلم فنظم حكومته على ما تقتضيه هذه الغاية

ففى الجند عين خلفاءه فجعلهم اربعة بعدد الخلفاء الراشدين

أولهم — الخليفة عبد الله خليفة ابى بكر الصديق

الثانى — على ود حلو من دغيم خليفة الفاروق

الرابع محمد شريف ابن عمه خليفة الكرار

أما الكرسى الثالث أى خليفة عثمان فقد خص به السنوسى وقسم جيشه الى ثلاثة أقسام فعقد على كل خليفة على قومه فجعل له راية خاصة

فعقد للخليفة شريف على أنصار السودان الاوسط وهم أنصار دنقلا وبربر والخرطوم وسنار وضم اليهم الجلابة أولاد البلد وخصه بالراية الحمراء

وعقد للخليفة على ود حلو على عرب دغيم وكنانه وخصاه بالراية الخضراء

وعقد للخليفة عبد الله على جميع قبائل السودان الغربى وضم اليه الجهاديه واولاد الريف وخصه بالرايه السوداء وعرفت بالراية الزرقاء وميزه (بالامبايه) التى يبق بها لجمع الجيش كله وجعله رئيسا عاما للادارة والجند

وكان لكل خليفة وكيلا على رايته ودونه امراء ومقاديم ولكل أمير راية خاصة به غير راية الخليفة . ولكل خليفه نقاره أو نحاس يضرب عند ارادته جمعهم للعرضة أو الحرب

وكان المهدى يستعرض جيوشه فى كل يوم جمعه فيجعلهم صفا واحدا متجهين نحو القبله لوقوفهم للصلاة أولهم الراية الزرقاء والى يسارها الخضراء ثم الرايه الحمراء ويسر عليهم راكبا جوادا أو هجينا من أول الصف الى اخره وكان هذا دابه وهو مرابط بابى سعد وجعل للمال أدارة سميت « بيت المال » وعهد به الى صديقه وأعز انصاره الاول احمد ود سليمان المحسى

وأسند منصب القضاء الى احمد ود جباره من علماء الازهر الذين صحبوه من (أبا) ولقب بقاضى الاسلام ، وجعل دونه قضاة ونوابا فالقضاة للحكم فى المسائل الشرعية ، والنواب للحكم فى الغنائم وحقوق بيت المال فلما قتل خلفه القاضى احمد على

اخذت طلائع جيش الامام المهدى تصل ديم ابى سعد من فجر يوم ١٩ أكتوبر سنة ١٨٨٤ الموافق ٢٨ ذى الحجة سنة ١٣٠١ وتكامل عددها ستين الفا

خطاب الامام المهدى

وبعد شهر من وصول الامام المهدى أبى سعد ارسل لفرج باشا قائد حصن امدرمان خطابا يدعوه فيه الى التسليم نصه هذا

وبعد فمن عبد ربه المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدى ابن عبد الله الى أحبابه المكرمين المعظمين وأهل الدرايه وهم كبير العساكر وعظيمهم فرج الله وصاحبه عبد النبى ومن أنضم اليهم من الاكابر والاصاغر ، أعلموا ويحققوا أحبابى انى لست قائما هذا المقام الا بدعوة الخلق الى الله وسعادتهم الكبرى ونيل مراتبهم العليه ومنفرهم عما يضرهم من خسيس فان اللذات التى تعقب حلول الحسرات ، وقد بلغنى أن المكرم المعظم فرج الله من ضباط أهل فاشودة الذين يحبوننى سابقا وانا (بأبا) من معرفتهم زهدى فى الدنيا وصدقى فى الطلب لما عند الله وارادة الاخرة ودلالتى على الصلاح والفلاح وارشاد العباد الى رضاء الفتاح ليكتسبوا دائما المطلوب من النجاح فلا تظنوا أننا نطلب اموالكم وما ملكت أيديكم أن سلمتم لنا وصرتم من أصحابنا الذين بشرنا سيد الوجود (صلعم) بانه كأصحابه وأدنى أصحابى رتبة ينال مقام الشيخ عبد القادر الجيلانى عند الله تعالى وفيما ذكرته كفاية لاهل العنايه

وأظن انه قد بلغتكم انذاراتى سابقا فلا فائدة حينئذ من التطويل فان سلمتم فقد عفونا عنكم ورضينا عليكم وكنتم من الاصحاب

المكرمين الذين لهم عند الله عند الله حسن المكانة الابدية فانى المهدى المنتظر خليفة نبيكم (صلعم) فابشروا بالكرامة والفخامة ان سلمتم لى واتبعتمونى وليكن معلوما عندكم أحبابى أن من لم يصدقنى ويتبعنى يعذب فى الدنيا ولعذاب الاخرة اشد وانى موعود بملك جميع الارض ورأيتم نصرى فى حالة الضعف والقلة الى أن بلغت هذا المبلغ واجتمعت عندى اسلحة راشد بك وود الشلالى وهكس والابيض ودارفور وبحر الغزال وجباخينهم . وبشرت بانى لواردت لقبض الله سلاح الترك بحيث أن أصحابى يقتلونهم ولا يقتلون ولكن اخترت توفيقا من الله أن ينال أصحابى الشهادة ويبلون فى الله لينالوا عظيم المكانة عند الله كما فى كتاب الله واقتداء برسول الله (صلعم) وأصحابه كما علمت ولتعتمدوا هذا زيادة كتبت هذا بخطى والسلام فى غاية محرم سنة ١٣٠٢ هـ ١٨ نوفمبر ١٨٨٤ م

فلما لم يرد فرج على هذا الخطاب انتدب حمدان ابو عنجه لحصار طابية امدرمان ، وجاء فى مخطوطة السيد على ابن الامام المهدى المسماة بالاقوال المروية فى تاريخ المهدية الآتى

معركة امدرمان

قيل أن حمدان أبا عنجه عندما تلقى أمر المهدى بيوم الاربعاء بحصار امدرمان عزم على ألا ينزل من حصانه الا عند مكتب التلغراف بامدرمان ليستلمه ويقطع صلتها مع الخرطوم فسار فى مقدمة جيشه بشاطىء النهر فانبرت له سبعة وأبورات كل واحدة منها تقطر أربعة صنادل مليئة بالجنود فصبوا عليه نيران بنادقهم وقنابلهم وقد ساندتهم طوابى الحكومة حتى أن الدخان والعجاج حجبا الرؤية ووسط ذلك كان حمدان يشجع رجاله وهو عى ظهر حصانه حتى وصل لمكتب التلغراف واقتحمه فتمكن أحد التلغرافجية من القفز بالشباك وقتل الآخر واخرج حمدان كرسيا من المكتب فجلس عليه أمام الباب متجها نحو الخرطوم

ظلت الوابورات والطوابى تمطر جيش حمدان بنيرانها منذ بزوغ شمس يوم الاربعاء حتى الساعة الحادية عشر نهارا ثم توقف الطرفان عن القتال فجمع الشهداء وكانوا بين ثلثمائة الى خمسمائة من جيش حمدان وعندما خيم الظلام حفر الانصار المتاريس وبنوا فوقها حيطانا منخفضة تشبه الطوابى وظلوا يكملون بناءها ثلاثة ايام يشتغلون فيها بالليل ويتوقفون نهارا وكانت فى أرتفاعها تحجب الجالس وفتحوا فيها كوات للبنادق والمدافع وردموا حولها ترابا كثيفا .

وفى اليوم الرابع عادت الوابورات التى كانت فى التصليح بسبب ما أصابها من رصاص وقنابل جيش حمدان وكان ذلك يوم السبت فاصلت الانصار بنيرانها حتى الساعة الثانية عشر ظهرا وقد تعطلت أحداها بصنادلها

حصار الطابيه

حاصر حمدان ابو عنجه حامية امدرمان حولها عدة طوابى احداها لنفسه والجهديه التابعين له تحت رئاسة الزاكى طمل واخرى للنور عنقرة وثالثه لعبدالله ودابراهيم والامير بلل نافور الذى كان اميرا على قسم من الرزيقات وكانت هذه التحصينات فى الجهتين الشرقيه والبحريه وفى الجهه القبليه بنيت طابيه للامير احمد ودسليمان تعرف بدار السلام لان الآتى من الجهة البحريه اذا تخطى كل تلك الطوابى ووصلها فقد امن وسلم

لان طوابى الحكومة الثلاثه التى بالمقرن قد خصصت لمساعدة حامية امدرمان والوابورات المسافرة وقد تخصصت احدى هذه الطوابى الثلاث فى ضرب طابية السيد طه اما الاخرتان فقد وجهتا نارهما بطوابى الانصار الاخرى المواجهة لامدرمان

ويقول ابراهيم فوزى باشا :

وفى منتصف شهر محرم سنة ١٣٠٢ احاط الانصار بالخندق واستولوا على الخندق الصغير وقطعوا الاسلاك بينه وبين النقطه وأشادوا نحو عشرين طابيه على ضفة النيل الابيض ووضعوا عليها مدافع كروب والمستر ليوز والجبلى فكانت مقذوفاتهم تقع فى المدينه الخرطوم فشاد غردون طابية فى المقرن قصاد هذه الطوابى وشاد فى جزيرة توتى ايضا طابية قبالة طوابى امدرمان فحاصر الانصار طابية امدرمان من نصف محرم الى اواخر شهر ربيع الاول سنة ١٣٠٢ اى مدة ٧٥ يوما

الحامية تستنجد

واثناء المعركة كانت الاشارات دائرة بين غردون باشا بسراياه وحامية امدرمان وقد كان فى جيش حمدان من له علم برموزها فبلغه أن قائد الحامية أرسل أشارة لغردون يقول له فيها أن مؤونته قد فرغت فأن لم يزود باللازم حتى آخر هذا الاسبوع فسيضطر للتسليم ورد عليه غردون بأن ستصله وابور بعد باكر تحمل المؤونة الضرورية ، تحرسها وأبورات وصنادل وأمره بأن يتخذ الترتيبات اللازمة فينزلوا بالجدول المتصل بالنيل لاستلامها وستكون الوابور التى تحمل المؤونة فى الوسط وستقف عند الجدول المتصل بالنيل وأمره أن يرسل قوة كافية لاستلام المواد المرسلة له وابلغه أن الوابورين ستشغلان الانصار الى ان يتم الاستلام .

ابو عنجه يستعين بخليفة الصديق

عندما علم أبو عنجه بمحتوى هده الاشارة طلب من خليفة الصديق أن يمده بقوة كافية من المشاة أصحاب السيوف والحراب وقوة أخرى كافية من الفرسان ليكونوا عند السرداب المكشوف الذى يربط بين موقع أستحكام عساكر حامية امدرمان وشاطىء النيل داخل الخور المعروف « بخور أبو عنجه » فأرسل خليفة الصديق القوة المطلوبة وقد ابعدت الخيول عن السرداب خوفا عليها من قنابل الطوابى وزحف المشاة فرقدوا عند حامية السرداب وحفروا خندقا قريبا من السرداب لتحمى به حملة

السلاح النارى الذين يردون على طابيه امدرمان ويسكتون عندما توجه بنادقها وقنابلها نحو المشاة أصحاب السلاح الأبيض .

جهزت كل قوة فى مكانها للعمل فى اليوم المعين لا رسال المؤونة للحامية وفى اليوم الموعود وهو يوم الاثنين اقبلت الوابورات والصنادل عليهما العساكر وبدأ وابورا الحراسة اللتان تسير بينهما الوابور المحملة بالمؤونة والذخيرة تصليان الانصار نارا حاميه وعززتها طوابى الخرطوم وامدرمان وخرجت من أستحكام امدرمان قوة من عساكر فى هيئة مربع وانحدروا الى الى السرداب فانقض عليهم الانصار من حافتى الخور وقضوا على أغلبهم وهرب بعضهم وارغمت الوابورات على الرجوع فتقهقرت الى الخرطوم بعد أن قتل كثير ممن كان على ظهورها

وقيل أن غردون باشا كان يشاهد كل هذه المناظر بنظارة معظمة من سطح سراية الخرطوم وقد وصل الينا أنه وبخ ضباطه كثيرا وأبدى لهم أسفه بانهم خيبوا ظنه وأنه ينتظر رجال الحملة الانجليز ليخلصوه من هذا الموقف .

لقد أستمر الضرب بين الوابورات والطوابى يوم الاثنين حتى الساعة الثانية عشر ظهرا ثم توقف الطرفان عن القتال .

الهجوم الاخير

ولم تعد الوابورات فى صباح الثلاثاء فزحف حمدان أبو عنجه الى أستحكام امدرمان تعززه طوابى الانصار بنيرانها حتى هذا القصر الذى كانت ترسل منه الاشارات ورفعت علامة التسليم فظنها حمدان أبوعنجه خدعة وواصل الضرب الى أن خرج ضابطان يطلبان الامان فطلب منهما حمدان أبو عنجه أن يحضرا الرؤساء لاخذ العهد عليهما فحضر فرج بك محمد قمندان العساكر بامدرمان ومعه ضباطه الكبار ومعه كذلك الشيخ موسى الاحمدى أمام الحامية فأخذ معهم العهد واذن لهم بالرجوع بعد ان اتفق الطرفان على أن يكون التسليم صباح الاربعاء

كيف تم التسليم

اجتمع جميع امراء الطوابى عند حمدان أبى عنجه فى صباح الاربعاء وهم السيد محمد عبد الكريم والشيخ احمد سليمان والنور عنقره والسيد نه وعبد الله ولد ابراهيم والزاكى طمل وبلل نافور الرزيقى وفى الضحى ساروا لاستحكام امدرمان فى فرقة من الجهدية مكونة من نحو مائتين الى

ثلثمائة مقاتل فاستقبلهم فرج بك عند الباب ومعه جميع ضباطه وأمام الفرقة وبعد تبادل التحية دخلوا محل السلاح لاستلامه فوجدوا جميعه قد وضع فى مكان واحد وهنا خاطبهم أحمد ولد سليمان أمين بيت المال بأن جميع الاشياء الشخصية قد سمح لهم بأخذها مثل الرقيق والامتعة والمنقولات الخ واما لاشياء التى تخص الحكومة مثل السلاح والذخيرة والمهمات .. الخ فهى التى يستلمها منهم أمين بيت المال . وبعد انتهاء الفرز استأذن أحمد ولد سليمان ليبلغ المهدى بما تم ارسل المهدى لخلفائه بأن ينتظروا فى شجرة الحضرة حتى يحضر قمندان وضباط حامية امدرمان لتسليم أنفسهم لهم بصفتهم نائبين عن المهدى وعندما وصلوا شجرة الحضرة التى هى فى المحل الواقع بين ديم أبى سعد والفتيحاب انتظروا ومعهم كل فرسانهم ويقدر عددهم بعشرة الاف فارس وانطلق أحمد ولد سليمان للحامية حيث بلغهم أن تعليمات المهدى أن يترك حمدان أبو عنجه ومن معه من امراء الطوابى والجهدية فى حراسة السلاح والذخيرة وأن يخرج كل الضباط والعساكر وما معهم من الخيول والجمال والحمير والخيام فى طابور عسكرى لتسليم انفسهم لخلفاء المهدى فوقف العساكر صفوفا سار فى مقدمتها فرج بك وقابلهم الخلفاء بالترحاب وشكروهم على حقن الدماء ثم اخذ احمد ولد سليمان رءوس الحامية لمقابلة الامام المهدى وتولى خليفة المهدى أمر العساكر فنصبت لهم الخيام وعاد اليهم ضباطهم بعد مقابلة الامام وكان مؤذن معسكرهم الشيخ محمد علوان الذى صار مؤذن فى جامع الشيخ دفع الله فى عهد هذه الحكومة «حكومة العهد الثنائى» واقاموا فى مكانهم ذاك بضعة ايام ثم وزعوا على الجيش فضم الجهدية الى الجهدية والمصريون الى المصريين وكل جنس لجنسه

وفى ثانى يوم تسليم حامية امدرمان نشر الامام المهدى لانصاره الخطاب التالى

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى الى أحبابه واصفيائه انصار الدين بالهوى والشرق والغرب وخصوصا العلماء والرءوس . وبعد فاذا فهمتم هذا أحبابى فألفوا عباد الله الذين يخرجون مسلمين ومنقادين بانواع التأليف وتلقوهم بالاكرام والتشريف ولا تنظروا لمن استشهد من الانصار فتحنقوا بسبب ذلك على من كان مع الكفار . فان قيامنا هذا لله ومن استشهد من الانصار فقد نال عظم المقدار فيما فعله لوجه الله ، فاكرموا

الذين يأتون مسلمين وخصوصا العلماء ومن كانوا أهل وظائف كبار وبالاخص نحو الامين الضرير فقد قال صلى الله عليه وسلم « أكرموا عزيز قوم ذل أو غنيا افتقر » والسلام ١٩ ربيع أول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير سنة ١٨٨٥

ووجهه الى أهالى الخرطوم الخطاب التالى : —

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى كافة أهالى الخرطوم هداهم الله الى الصواب وقد طالما ذكرتم بالله ورغبتكم فيما عنده وحذرتكم من وعيده فالى متى الغفلة والتسويف والى متى مبارزة مولاكم بالعداوة ؟ اترغبون النجدة والفرج عند الانجليز وتصرفون نظركم عن خالقكم الذى بيده أموركم وقوامكم ؟ وهو القوى العزيز ؟ فما الانجليز وغيرهم اضعافا مضاعفة بشىء فى جنب قدرة الله التى يعجز عن وصف كنهها كل لبيب ونجيب وما القوة الا من عند الله القريب المجيب وحيث فهمتم ما ذكر فانى لا اؤاخذكم بما فات منكم ولا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين ، فانيبوا الى ربكم واسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وانتم لا تشعرون ، عليكم امان الله ورسوله وامان العبد لله وليس عليكم حرج فيما مضى وغايته ان من سلم سلم ومن خالف عطب وندم فهيا هيا ثم هيا الى طريق الفلاح والنجاح قبل قص الجناح ولا تخشوا من شىء يحصل عليكم فانا مناظرون فيكم ايه قوله تعالى « اذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم والسلام

وقال مشاهد أن غردون كان فى ذلك اليوم يضرب الارض برجليه ودموعه تجرى على خديه حزنا على تسليم امدرمان ولتسليم امدرمان اثر بالغ فى الموقف جميعه وهو ما سيعلق بذهن قارىء الرسالة التاليه :

نشرت جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ مايو سنة ١٨٨٥ تقريرا رفعه السير سارلس ولسن الى اللورد هرتنتون بواسطة اللورد ولسلى بحوادث التجريدة التى سيرها تحت امرته الى سيدى

اقلعت بعض السفن من الخرطوم فبلغت (القبة) فى ٢١ يناير ١٨٨٥ اذ كنا نناوش الثائرين القتال بجوار (المتمه) فتربص ربانها فيها ريثما ارفضت المعمعه ثم جاء الى بين الساعه الثالثه والرابعه فناولنى ودائع سلمها له الجنرال غردن ففضضت أختامها واذهى كتب بخط يده فقرأتها وصممت فى الحال على ان اتوجه الى الخرطوم لو لم اجد بواعث عديدة حملتنى على

التأخير ولكن لايخفى محيط علمكم انى لو سافرت فى صبيحة ٢٢ من الشهر المذكور وقطعت المسافه بمعدل ماقطعتها لما تمكنت من الوصول الى الخرطوم قبل ظهيرة ٢٦ منه اى بعد سقوطها فى أيدى الثائرين بيوم فاذا ما تبين ذلك ابتدأ لان باثبات تلك الاسباب التى دعت الى تأخيرى عن السفر وهى :-

أولا - لضعف قوتنا الناشىء عن كثرة قتلانا وجرحانا ولان خشم الموس ربان السفن المذكورة انبانى بانه رأى وهو مقبل نحونا القائد الفكى مصطفى زاحف بقوة عظيمة نحونا فاستنبأته عن موعد وصولها الينا فقال أنها ربما تصل فى (الغد) أى يوم (٢٢ يناير) فصرفت يوم ٢١ منه فى التهيؤ والاستعداد ثم سرت صبيحة اليوم التالى بشرذمة قلية فتقدمت بها على ضفة النيل حتى بلغت شندى كل ذلك لأراى ما اذا كان نبأ الربان صحيحا .

ثانيا - لأن الجنرال غردون الح فى كتابة بان تتخذ قيادة السفن بانفسنا والا فنعيدها اليه بعد أن تنزل منها جميع الباشوات والبكوات وكل رجل كان النزعة أو تركيها فى الحالة هذه أعتمدنا بادىء ذى بدء على تجهيز تلك السفن بالفرقة البحرية ، على أن اعياء اللورد شارلس برسفورد وفقدان عدد عظيم من تلك الفرقة حالا دون تتميم خطتنا فرأينا حالتئذن ان تنتخب من السفن الاربعة الضباط والعساكر السودانيين وتنقلها الى السفينتين رأينا ان نسير بهما الى الخرطوم وهذا ما عاقنى عن تأخير سفرى الى يوم ٢٣ من الشهر المرقوم

ثالثا - لانى رأيت السفن فى حالة رثة فاقتضى ان أصلحتها بقدر الطاقة واعددتها بحيث تقوى على احتمال ضربات المدافع التى توقعت سقوطها علينا متى وصلنا الى امدرمان التى وقعت فى أيدى الثائرين قبل سقوط الخرطوم

فترون بعد التروى والفحص أنى كنت محقا فى عدم السفر حالا : وترون أيضا أنى لو كنت سافرت فى اليوم الذى تناولت فيه كتب الجنرال غردون لما قدرت على انقاذ المدينة ؛ اذ هى سقطت فى أيدى الثائرين فى يوم ٢٥

شارلس ولسون

كشف اسرار غردون

لما وقع ستيوارت فى قبضة شيخ المناصير واستولوا على ما معه من رسائل وبيانات بعد قتله ومن معه ارسل شيخ المناصير تلك الودائع الى المهدى فكتب المهدى خطابا الى غردون يكشف له فيه امر اتلك الوثائق من مشرع القيعه قبل وصوله الى ديم ابى سعد الى غردون باشا الخرطوم . هداه الله للطريق القويم . اما بعد فاعلمك ان وابوركم الصغير المسمى بعباس الذى بعثتموه بقصد توصيل اخباركم لمصر بواسطة دنقلا . المرسول فيه وكيلكم استيوارت باشا وقنصلى فرنسا والانجليز ومن معهم قد وقع فى القبضة باذن الله ونجا منه من آمن بمهديتنا وسلم الامر الينا وهلك فيه من لم يتبع وكيلكم المذكور والقناصل وغيرهم وعجل الله بارواحهم الى النار وبئس القرار وصار ذلك الوابور وما فيه غنيمة للمسلمين وقد اطلعنا على باطن ما فيه من المكاتبات والتعريفات عربيه وافرنكيه وجغرافيه بعد فكها بواسطة من من الله تعالى عليهم ونور قلوبهم بالايمان وحسن الاتباع كما ان البوستة المبعوثه من طرفكم لمدير دنقلا مع ما هو مرفوق معها لاجل بعثها للجهات المصريه والاوربيه ضبطت وما فيها علم . وكان مقتضى عودتها جميعا لكم لعدم لزومها انما ما دام اصلها مرسول منكم ومعلومة لطرفكم فاستنسب ان نبعث لكم البعض منها ليتأكد بطرفكم ذلك ويرسخ بذهنكم حقيقة ما هنا لك رجاء ان يهديكم الله للاسلام وللتسليم وتسلموا انتم ومن معكم لتفوزوا بالنعيم السرمدى والخير الابدى . وهو ان منها الجواب الجفرة المؤرخ غرة الحجة ١٣٠١ هجرى المرسل لمصطفى ياور مدير دنقلا رد جوابه الرقيم ٢٠ اغسطس بانكم اعطيتموه رتبة اللواء الذى بظاهره تلغراف لخديوى مصر لاعتماد ذلك وكذلك اطلعنا على يومية موجود الشونه التى بختم ناظرها عثمان موسى وهى ٣٣٧٤ ـ و١٤٣ اردب قمح لاخر ما بها وكذلك يومية الجبخانه التى بختم ناظرها المؤرخ ٢٥ شوال سنة ١٣٠١ البالغ كمية عدد ما بها ٥٨١٣٩٥ كما والتلغراف المحرر لخديوى مصر نوبار باشا والقنصل جنرال الانجليز بمصر من التسعة عشر شخص الواضعين اختامهم به الذين هم رئيس مجلس الاستئناف حسن عبدالمنعم واعضاؤه والسر تجار والتجار

الراغبين فى استبدال السكه الحديديه السودانيه التى صعب امرها على حكومة مصر بالوابورات البحريه والنقط العسكريه والخطوط التلغرافيه ما بين كل شلال وايضا الجواب الذى مع قنصل فرنسا المحرر منكم له فى ١٨ رمضان سنة ١٣٠١ نمرة ٥١٢ شطب ٣٨ بوصول المائة فرنك الموزعين على الفقراء والمساكين ثم جوابكم رقم ٦ ذو القعدة سنة ١٣٠١ نمرة ٣٤ شطب ١٤٤ المبعوث لنوبار باشا وجنرال الانجليز وناظر مالية مصر المخبرين فيه بكيفية الخمسين الف جنيه الواردة من مصر لبربر واغتنموها انصار الدين وكيفية السلفيه من التجار بالربا عن المايه قرش قرش واحد بامل دفعها لاربابها او وكلاهم بتلك الجهة ومخاطبتكم رقم ٤ المبعوثه لرئيس مجلس النظار المرفوق معها كشف بستة عشر نفر المتطلبين فيها التتميم بالرتب التى عينتموها لهم وخطابكم المرقوم ٢١ شوال سنه ١٣٠١ شطب ١٤١ لمهر دارخديوى مصر باعتماد ما اعطيتموه من الاربعه نيشانات المرسولة عينتها والرتب المذكورين ضباط والكشف الحاوى احد عشر نفر كمثل النوربك قومندان سنار المجعول لوى وغيره وتلغرافكم المرقم ١٩ ذو القعدة سنة ١٣٠١ نمرة ٢٣ للمهر دار المذكور باعتماد كل من ابراهيم فوزى وموسى شوقى ومحمد نصحى لواءات وجواباتكم الافرنجيه الموضحين فيها كيفية اسلام وكيلكم كوستى مع كيفية الجوابات التى وصلت اليكم من عملائنا من النصائح وبكمية الاوربين الموجودين بالخرطوم الذين هم ثلاثه انجليز واثنين نمسا وواحد روسيا وواحد فرانسا واربعه يونانيين واربعين اروام . ويوميه الاسلحة والجبخانه والمدافع وغير ذلك المختومه بختم فرج الزين قومندان العساكر التى بها مدفعين كروب بمائتين اربعه وثمانين طلقه واحد عشر مدفع جبلى وجبخاناتهم الفين وثلثمايه وثلاثه والمدفعين القبس وجبخاناتهم تلثمايه وخمسة عشر والخمسه مدافع شرحه وجبخاناتهم الخمسمايه خمسه وستين والمدافع الاردى والمدفعين المتريوز الخالين عن الجبخانه والثمانيه سواريخ والخمسمايه تسعه وستين جبخاناتهم والسبعة الاف واربعمايه وخمسين بندقيه رامنتون والالف ومائتان وخمسين بندقيه كبسون والمائتان سته واربعين بندقيه ارشلق والمائه سبعه وعشرين بندقيه خشخان طرزقديم والتسعه عشر طبنجه وجبخاناتهم الرمتيون التى هى ١٥٣٣٢٣ وسنه وغيره ومقدار

الجاهديه وهم
اثنين اميرالايات
خمسه قائمقامات

وهذا باقى الوظائف والفين وثلثمايه وسبعين نفرا جهادى وارادى الباشيبوزق والشايقيه والخطريه البالغ قدرها سته وعشرين اورادى باربعة الاف وسبعمايه سبعه وتسعين نفرا وبيان خدام الترسانه والوابورات وابورا وابورا وايضا اطلعنا على تلغراف الضباط ورؤساء الدواوين والقاضى والمفتى والعلماء البالغ قدرهم اربعة وثلاثون المعروض منهم لمهر دار خديوى مصر الرقيم ٢٩ ذو القعده سنة ١٣٠١ المستنجدين فيه الحكومة والملصوقة فيه بوصلتكم لمديردنقلا من اجل سحبه وتلغرافكم الجفره رقم ١٥ شوال سنة ١٣٠١ لمهر دارالخديوى الموضحين فيه انه بوصولكم الخرطوم تراءى لكم عدم امكان سحب العساكر والمستخدمين لمصر بسبب الهيجان وقطع الطرق ولذلك تطلبوا الاسعاف بالامداديه وما كانت تحضر حتى حصل ما حصل لمديرية بربر وكيفية حضوركم بسبعه انفار بعد انقراض جيش هكس وتطلب ارسال تلغراف لكم بالتصريح من جهة السودان بالعربى لاطلاع اهالى الخرطوم عليه لان التلغراف الوارد بالجفرة لم يفهم منه المقصود سوى اخذ معلومات فقط وضياع الوقت بدون فائدة حتى انه من كثرة الوعد منكم لاهل الخرطوم بحضور الامداديه صرتم عندهم اشبه بكذابين وتطلبكم ارسال عساكر شاهنيه ووعدكم بارسال وكيلكم اسيوارت والمسيو ياور لدنقلا

والثالث الرقيم ٩ ذو القعدة سنة ١٣٠١ للمهر دار الموعدين فيه عن ارسالكم الفرقه لضرب الشيخ العبيد التى توجهت واهلكها الله تعالى ثم جوابكم لخديوى مصر الخالى عن التاريخ المتطلبين به ارسال عساكر انجليز وتعيين الزبير بامداديه لعودة العساكر المصريه لمصر او ان تعطى السودان للسلطان ليحضر امدادية مائتان الف نفر وان لم يحصل ذلك فالموجودين بالسودان يقتلوا فيكون مداكا بدياتهم لاخر ما اوضحتموه فيه ان محمد على باشا الشخص الفريد الوحيد فى السودان وتقدروا ان تعتمدوا عليه نايبا عنكم وقد اهلك الله معتمدكم محمد على المذكور — فى واقعة ام ضبان —

والرابع رقيم ٩ ذو القعدة سنه ١٣٠١ لخديوى مصر ولنوبار باشا والقنصل الانجليزى بمصر المورين فيه انكم منتظرين حضور الامداد السابق طلبها بسكة مروى . والتلغراف المرسل للمذكورين المورين فيه معاربة الانصار ووجود مؤونه خمسة شهور عندكم . وتلغراف للمذكورين الرقيم ٣ ذو القعدة سنة ١٣٠١ الزاعمين فيه قتل ابراهيم العبيد وبلوغكم خبر قدومنا وعدم التحقق من ذلك

ثم استمر خطاب الامام للمهدى يعددما جاء قبضة المهدى من وثائق غردون (الكاشفه لحاله) الى ان قال : والاختام الاثنين المنقوشين باسمنا تقليدا لختمنا لاخر ما كان من اخباركم وما انطوى عليه ضميركم وما انتم مرتكنين عليه من القوة والعصمة دون الله فهم جميعه

ثم اخذ للمهدى فى دعوة غردون للتسليم على الوتيرة التى درج عليها فى جميع كتبه

الزبير باشا

كان غردون قد بعث فى طلب ارسال الزبير باشا الذى كان فى مصر ليوليه حاكما على السودان على الشروط الاتيه

١ ـ ان يمنح الحريه المطلقه فى ادارة السودان الملكيه والعسكريه فيولى من يشاء ويعزل من يشاء وينظم الماليه والترسانه والضرائب وجميع انواع الدخل والخرج

٢ ـ ان يمنح الزبير رتبة فريق والنيشان العثمانى الاول ويجعل حاكما عاما على السودان الى حد الخندق من اعمال دنقلا براتب سته الاف جنيه فى السنه

٣ ـ ان يعطى السلطة لمنح الرتب ملكيه وعسكريه الى رتبة اميرالاى على ان يطلب عرائضها من الخديوى

٤ ـ ان تجعل له الحكومة المصريه اعانه سنوية قدرها مليونان ونصف مليون جنيه وهى قيمة ما كان ينفق على السودان من قبل ذلك لمدة سنتين فقط

٥ ـ ان يترك له جميع ما كان للحكومة فى السودان من الاسلحة والذخائر والوابورات

وسواكن

٧ ـ ان يشمل السودان جميع بلاد ، سواكن ،
القلابات سنار • الخرطوم بربر ودنقلا الى الخندق

٨ ـ ان ينشأ جمرك فى سواكن ويضم دخله الى
فى الخندق فلا يكون جمرك بل تعفى البضائع الصادرة
وغيرها من الشروط

وجاء الجواب من حكومته فى ٢٦ فبرائر ١٨٨٤
ارسال الزبير فألح حتى جاءه الجواب من حكومته فى ٥
بانه قد قر الرأى نهائيا على عدم ارسال الزبير ال

بين اغردون والحملة

ولما وصل ولسلى الى حلفا فى ١٧ نوفمبر وصله كتا
٤ نوفمبر وهذه ترجمته

وصلنى أمس بريد من كتشنير بالدبه بتاريخ ١٤
ومعه كتاب بالجفرة من اللورد ولسلى بتاريخ ٢٠ سبت
استطيع حله لانى ارسلت المفتاح مع ستوارت • وما و
الاكتاب من كتشنير مؤرخ ٣١ اغسطس سنه ١٨٨٤ وصل
بعد سفر ستيوارت من هنا باسبوع • فى جهة المتمه الان خ
تسعه مدافع بانتظاركم يمكننا ان تثبت فى هذا الحصار •
يصعب علينا الثبات • انى اشتعل غيظا لغرق الوابور
خبروا نظارة الخارجية أن مفتاح الشفرة قد
استيوارت اذ كنت فى ريبة من نجاتنا وقد ظننت ان
فارسلت ستيوارت وبور وهربن فى وابور ليطلعك
تعجلون بانقاذنا وارسلت مع استيوارت يومية الحوادث
١٨٨٤ الى ١٠ سبتمبر ١٨٨٤ • المهدى الان هن
(فى ابى سعد) والعرب يحصروننا من الشرق والجنو
ولكن ليس منهم احد شمالى امدرمان
سنار لا تزال ثابتة فى الحصار وهى عالمة بقدومك

يوميتى من ١٠ سبتمبر الى هذا اليوم وفيها تفصيل حالنا وخارطة بربر ، يقع بيننا وبين العرب قتال من وقت لاخر ولكن المهدى يقول انه لا يحارب فى هذا الشهر (وهو شهر محرم سنة ١٣٠٢) وقد احضر معه جميع الاوربيين والراهبات الذين وقعوا فى اسره ويقال انهم جميعا اعتنقوا الاسلام . سلاطين ايضا مع المهدى وكذلك لبتن ويقول المهدى ان لبتن اسلم . منذ ١٠ مارس سنه ١٨٨٤ الى اليوم وصلنى (عدا كتابى كتشنر المشار اليهما انفا)

رسالتان واحدة من دنقلا بدون تاريخ وواحدة من سواكن بتاريخ د مايو سنة ١٨٨٤ . ووصلتنى رساله بمعنى هذه الرسالة من مصوع بتاريخ ١٧ ابريل سنة ١٨٨٤ اما انا فقد ارسلت فى الثمانيه اشهر الماضية عدة رسل فى كل الطرق

نزل العرب فى ضواحى الخرطوم فى ١٢ مارس ١٨٨٤ فهاجمناهم فى ١٦ مارس فهزمونا وحملونا خسارة جسيمه من العساكر وغنموا مدفعا واحدا ومن ذلك الوقت لا تزال فى قتال مستمر وقد جرح استيوارت جرحا خفيفا فى ذراعه فى بعض المناوشات . ولما ارتفع النيل خرجنا عليهم فاوقعنا فيهم ثلاث وقائع او اربع ورفعنا الحصار عن المدينه وارسلنا حملتين الى سنار

وفى كل واقعه جرت لنا مع المحاصرين كانوا يهاجمون المربع مستقتلين فيخترقونه ويدخلون وسطه وقد كسرونا فى ٤ سبتمبر ١٨٨٤ كسرة شنيعه ومن بعدها لم يكن شىء يذكر . ومجموع ما اطلقناه من الرصاص الى الان ٣ ملايين رصاصه والسراى احسن محل لاطلاق الرصاص . مع العرب هنا مدافع كروب وقد عطلوا وابوراتنا وغنموا وابورين صغيرين فى بربر ووابور فى النيل الازرق وبنينا نحن وابورين جديدين . وصفحنا جميع الوابورات وقوينا الحصون بالالغام والشباك الشرخجية تدفع مرتبات الجند شهر بشهر فغير متأخر لهم الا راتب نصف هذا الشهر وقد استعملنا عملة الورق وانفقنا جميع الثياب لتى فى المخازن الاسرى الذين مع المهدى جميعهم بخير وقد تزوج الراهبات زواجا ظاهريا بالاروام تخلصا من الزواج بالعرب . سلاطين مع المهدى والمهدى لم يصادره فى ماله بل ابقاه له كله وهو يحسن معاملته ولكنى سمعت اليوم

انه مقيد بالحديد مع المهدى رجل فرنساوى جاءه بطريق دنقلا ولا اعلم سبب مجيئه . وقد صنعت مداليه وجعلتها ثلاثه انواع ذهب وفضه وقصدير ووزعتها على اهل الحاميه . يقول كتشنر انه ارسل الى عدة رسائل ولم يصله جوابها مع انى ارسلت فى الشهر الماضى عشر رسائل على الاقل يسافر الوابور بكتابى هذا نهار غد الى المتمه ويرسل لكم من هناك مع جاسوس . لاتدعوا العساكر المصريه تأتى الى هنا استلموا قيادة الوابورات منهم واخرجوهم منها فانه لافائدة بهم

وكتب له اللورد ولسلى جوابا على كتابه هذا يوم وصوله (١٧ نوفمبر) وهو موجس خوف وقوعه فى يد المهدى فقال :

وصلنى كتابك بتاريخ ٤ (الجارى) نوفمبر وهو اول كتاب اخذته منك الى الان ساكون فى دنقلا بعد ٤ أيام ويكون الجيش كله بين الدبه وامبكول فى ٧ يناير سنة ١٨٨٥ ولست اعطيك تفصيل القوات التى يتألف منها الجيش ولكن تاكد انها كافيه لسحق محمد احمد وانصاره ومحو ذكره من الوجود وكلما زاد عددمقاتلته زاد سرورنا لانه بذلك يزيد عدد قتلاهم ويود جنودى ان يثبت المهدى فى ساحة الحرب لانهم يحبون القتال ويعظم اسفهم اذ قطعوا هذه المسافه الطويله من بلادهم ولم يجدوا فرصة لقتل محمد احمد والفتك بانصاره . اما انا فقد رايت سفك دماء كثيرة فى زمانى وافضل ان تنتهى المسألة سلميا . وذلك بمسامحة محمد احمد فى مامضى وجعله سلطانا مستقلا على كردفان ويكون الملك فيها له ولاولاده من بعده . وبتأسيس حكومة وطنيه فى الخرطوم يكون الحاكم فيها مستقلا عن مصر وحكمه وراثى فيملك دنقلا وبربر والخرطوم وتعود انت الى انجلترا

اما اذا كان محمد احمد احمق وابى الا الحرب فانى ادع عساكرى ينالون مأربهم منه وهم نخبة جيشنا المظفر وصفوته وهم الآن سائرون برا وبحرا الى دنقلا

لم اكتب اليك فى الجفرة لانك تقول اضعت مفتاحها .

ابعث برسلك الينا فى كل اسبوع واخبرنا بجميع احوالك ونحن سنكافى رسلك الذين يأتون بكتب منك بسخاء

البواخر تقابل الانجليز

فى ٣٠ سبتمبر سنة ١٨٨٤ جهز غردون ثلاث وابورات لنصحى باشا وامره بملاقاة الانجليز فى المتمه واستقصاء اخبارهم وارسالها اليه تباعا وهذا هو نص الامر

سعادتلو افندى محمد نصحى باشا   انى اخترتكم للذهاب الى شندى لمقابلة الجيش الانجليزى القادم لنجدتنا بطريق دنقلا وجهزت لكم وابورات تل حوين . والصافيه . والمنصورة لتذهبوا فيها ومعكم من الضباط محمود بك طلعت وعلى افندى رضا فيكون كل منكم فى وابور ويرافقكم خشم الموس بك ليؤلف السناجق الذين فى شندى ويضمهم اليكم . وفى مروركم الى شندى اختبروا حال الاهلين واعلموا الطيب منهم والردى وابقوا فى شندى فلا تتعدوها الى بربر ولا تخرجوا من الوابورات الى البر لاى سبب كان . وابعثوا بالجواسيس الى دنقلا لاستطلاع خبر الجيش وارسلوه اى تباعا . ويرافقكم يوسف افندى صديق من كتاب الحكمداريه بصفة كاتب لكم ومعه ٨٠٠ ريال لاجل الانفاق منها على الجواسيس واذا اتتكم رسالة من مدير دنقلا ومن الجيش فارسلوها الى حالا ولى الامل انكم تقوموا بواجب مأموريتكم هذه خير قيام والسلام وفى يوم الثلاثاء ٣٠ سبتمبر خرج نصحى بالوابورات الثلاثه قاصدا المتمه

لما علم المحاصرون بقدوم المهدى ازدادوا جرأة حتى صاروا يحفرون فى الليل حفرا قريبه من خط النار ويختبئون بها فاذا لاح لهم عسكرى رموه بالرصاص والعساكر لا تراهم حتى اشتد اذاهم فامر غردون المهندسين فاقاموا على خط النار ابراجا شاهقه املت عليهم فى تلك الحفر

اما اهالى الخرطوم فانهم لما سمعوا بقدوم المهدى اضطربوا وهلعت قلوبهم وكثر شغبهم فعلق غردون منشورا فى جميع الممرات والشوارع والمراكز العسكريه مؤداه :

ان الجيش الانجليزى القادم لنجدتنا تبلغ عدته خمسين الفا وقد انقسم الى قسمين قسم بطريق ابى حمد وقسم بطريق ود قمر وقد وصلت اول فرقه منه بالرويان وستصل بربر وربما وصلت الخرطوم قبل وصول محمد احمد ام درمان فتشددوا واعلموا ان الله ناصركم ومنح مكافاة شهرين لجميع العساكر والموظفين الملكيه وامر

باعداد بعض المنازل على شاطىء النيل لسكن الضباط الانجليز وذهب بنفسه الى تلك المنازل وتعهدها فوجد انها مفتقرة الى اصلاح فاعطى احد المقاولين ٣٠ الف قرش فرممها وداوم الكنس والرش داخل المنازل وخارجها يقول شقير

لما حل المهدى بابى سعد زادقلق اهل الخرطوم فاتفق جماعه من اعيانها وكبار موظفيها وجمعوا مبلغا من النقود لفقراء جيش المهدى وكتبوا اليه كتابا يصرحون فيه بتسليمهم بمهديته وانهم ساعون فى اضعاف الحكومة بكل جهد وينتظرون الفرصة للخروج اليه وقد ارسلوا الكتاب والنقود مع مولى لاحمدبك جلاب مدير الخرطوم فصادفته (دورية) امدرمان وارسلته الى غردون فاستنطقه فكان فى جملة المشتركين فى هذه

احمد بك جلاب مدير الخرطوم واخوه تيمى

الشيخ محمد خوجلى

قاضى عموم السودان

الفضل ابراهيم

باشكاتب مجلس الاستئناف

ابوبكر انجاركوك احداعضاء مجلس الاستئناف

الخليفه ود ارباب من ارباب المعاشات

الفكى الامين الضرير

شيخ الاسلام

محمد عبدالرحمن البشير تاجر

ادريس بك النور

احد اعضاء مجلس الاستئناف فامر غردون مامور الضابطيه فاحضرهم من منازلهم ليلا وحبسهم فى ثكنة العساكر ماعدا المدير واخوه والقاضى وشيخ الاسلام وادريس بك النور فانه حبسهم فى منازلهم ومنع الناس من الدخول اليهم • وسمى موسى بك شوقى مديرا للخرطوم بدلا من احمد جلاب واعاد المحافظه فجعل ابراهيم باشا فوزى محافظا

قتل العوام

كان فى الخرطوم رجل من خطباء الثورة العرابيه مصرى الجنس حسينى الانتساب اسمه احمد العوام وقد نفى الى الخرطوم بسبب الثورة العرابية وفى منتصف يونيه سنة ١٨٨٤ سجنه غردون وكبله بالحديد بتهمة بالميل للمهدى ثم اطلق سراحه وجعله معاونا فى الحكمداريه براتب ١٥٠٠ غرش فى الشهر فلما زحف المهدى نحو الخرطوم واعلن غردون خبر قدوم الجيش الانجليز جاهر العوام بتكذيب غردون وتصديق المهدى فوجهوا اليه تهمة احراق الجبخانه فامر غردون بقتله فقتل فى سراى الشرق

من نصحى باشا

ارسل غردون وابور التوفيقيه بكتب الى نصحى والجيش ليستطلع خبرهم ويعلمهم بقدوم المهدى وكان ذلك فى ١١ اكتوبر ١٨٨٤ فابقى نصحى وابور التوفيقيه وارسل الى غردون وابور تل حوين الى الخرطوم فوصلها فى ١٩ اكتوبر سنة ١٨٨٤ بكتاب مفاده لما خرجنا من الخرطوم لم يقابلنا احد بالعداء الا ادريس شيخ الجريساب فانه اقام متراسا على النيل وتحصن فيه هو ورجاله وبادرونا باطلاق النار فصوبنا عليهم المدافع فهزمناهم شر هزيمه وخرجنا الى الحلة فخربنا منازلها وسواقيها واخذنا اخشابها وقودا للوابورات ثم استطردنا السير الى المتمه فوجدنا اهلها وفى راسهم احمد حمزه قد اقاموا استحكاما منيعا فبادرونا برمى الرصاص فرميناهم بالقنابل ثم انقلبنا الى شندى فوجدنا السناجق الشايقيه قد تحصنوا فى المنازل التى على النيل واتحدوا مع الانصار ورمونا بالرصاص فحاربناهم حتى هزمناهم من تلك المنازل واحتللناها مكانهم ثم وسطنا الست فاطمة والست نفيسه كريمتى السيد الحسن الميرغنى المقيمتين فى شندى لدعوتهم الى الطاعة فظهر انهم متذبذبون وما ينتصرون الا للغالب .

ارسل احمد حمزه اخاه الى بربر يطلب المدد فعاد بلا شىء

وبلغ محمد الخير ان الجنود الانجليزيه زاحفه على بربر من دنقلا وكسلا وكورسكو فنادى النفير العام فى البلاد ليأتوا الى بربر لمحاربة الانجليز فلم يذهب احد من هذه الجهة خوفا على بلادهم من الوابورات . لكن حضر اليوم سعد ودبنونه بمدفع من بربر ورمانا بعدة قنابل فلم يصبنا بضرر وقد اظهر محمد بك طلعت وعلى افندى رضا كل نشاط ودربة وبسالة وجرح منا فى المناوشات التى حصلت بيننا وبين الاعداء ٢٥ رجلا وهاهم واصلون اليكم لمعالجتهم عندكم .

ارجو ارجاع الوابور الينا بما عندكم من الاوامر . اما الكتب التى برسم الجيش فقد بعثناها اليه مع الجواسيس .

فاعلن غردون فى المدينه ان الانجليز قد زحفوا على بربر من كسلا وسواكن ودنقلا واستشهد بكتاب نصحى وارجع اليه وابور تل حوين ثانى يوم وصوله ومعه وابور بوردين واصحبها كتبا الى الجيش الانجليزى على ان تبقى فى شندى الى حضور الجيش وكتاب الى نصحى هذا مفاده :

واصل اليكم بوردين وتل حوين بما يلزم من الذخائر والبقسماط فعند وصولهما ابقوا خشم الموس بك بشندى بوابور المنصورة وخذوا وابورات بوردين وتل حوين والتوفيقيه والصافيه وسيروا بها حتى تشرفوا على بربر فتستطلعوا اطلع الجيش فاذا وجدتموه قريبا ساعدوه على بربر وارسلوا الى تل حوين بعد عشرة ايام بما عندكم من الاخبار . احذروا من استعمال الذخيرة الا عند الضرورة . واكرر عليكم عدم الخروج من الوابورات الى البر فقد علمت ان الجرحى الذين ارسلتموهم انما جرحوا بالمحاربة فى البر وها قد ارسلت اليكم ٢٥ عسكريا من المصريين بدلا منهم واجابة الى ملتمسكم انعمت على محمود بك طلعت برتبة الميرالاى وعلى على افندى رضا برتبة القائمقام

صدع نصحى بالامر وذهب الى بربر واستطلع خبر الجيش ولما لم يجد له اثرا عاد الى شندى وارسل وابور تل حوين بالاخبار الى الخرطوم فارجعه غردون الى نصحى بكتاب الى رئيس الحمله الانجليزيه بتاريخ ٤ نوفمبر سنه ١٨٨٤ واوصله نصحى !! رئيس الحمله وقدمر ذكره

خطابات المهدى

لم يسارع المهدى فى فتح الخرطوم بل اصر على حصارها حتى تسلم كما سلمت حامية لابيض دون اراقة دماء . واستراح فى ديمه كل شهر محرم وفى نهايته جدد الانذار فكتب بعد البسملة لغردون مايأتى :

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله الواثق بما عند مولاه محمد المهدى ابن عبدالله الى غردون باشا :

اعلم انى حضرت بالقرب من امدرمان بجيوشى المنصورة واصحابى واحبابى فى الله المؤيدين بالنصر من عند الله . وكن على يقين انى على علم من حضور عساكر الانجليز بجهة دنقلا ولكنى لست مباليا بهم ولا بغيرهم بفضل الله . وسيكون لهم اسوة بجيوش هكس والشلالى ولا تغرك نصرتك المتواليه فكل من استشهد بها فى هو عن أمرى رأفه بهم لينالوا درجة الصالحين تصديقا لقوله تعالى : « ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون »

ولولا مراعاة حسم دماء المسلمين لضربت صفحا عن مخاطبتك وبادرتك بالهجومات التى لا شك فى نجاحها . فسلم تسلم انت ومن معك وقد نصحتك وانصحتك والا فالحرب بعد ذلك والسلام على من اتبع الهدى

١٩ نوفمبر ١٨٨٤

رد غردون

لست ابالى بك ولا بجيوشك وليست العساكر الانجليزيه بجهة دنقلا كما تزعم تضليلا لعقول انصارك واغرائهم بطلب المستحيل بل هم بجهة بربر والمتمه . وسترى ما يحل بك وبجيوشك عند مجيئهم من النكال بل اذا لم يأتوا ففى الكفاءة لان اعرفك قدرك ولا تغرنك كثرة انصارك فالبغى له مصرع والسلام

طوابى الانصار

.

لما حضر وابوربوردين الى الخرطوم من المتمه بكتاب اللورد واسلى المار ذكره الى غردون وارجع غردون الوابور الى نصحى فى المتمه فى الحال

بنى الانصار طابية فى الحلفايه وطابية فى خور شمبات تجاهها لمنع البواخر من المرور ذهابا وايابا بين شندى والخرطوم وبنوا طابية قبالة كل طابية من خط نار الخرطوم وثلاث طوابى حول طابية امدرمان الى شماليها واخرى الى جنوبيها وثالثه الى غربها

بعد تسليم امدرمان

واذاع المهدى خبر تسليم امدرمان فى الجهات وهذا ما كتبه الى عامله عثمان دقنه ..

وفى هذين اليومين يبلغكم انشاء الله فتوح الخرطوم فان فقرة امدرمان التى كانت لها كالروح صار فتحها على يد جند الله ووقعت فى القبضة بما فيها واضمحل امر الخرطوم ووهى وصار فى ضعضعة نظرا للمفتوح الذى ذكر ولكونه خرج اربع قلعات كبار منها على قصد المحاربة مع الانصار فاهلكهم الله بقدرته ورد كيد اهلها فى نحرهم والذى اسر منهم كثير ولما راى ذلك الباقون الذين داخل القفرة صاروا يخرجون افواجا ليلا ونهارا خفية وجهرا حتى اجتمع معنا اناس كثيرون من نساء ورجال واطفال بعضهم اهل بلد وبعضهم مماليك وما زال جارى خروجهم وذلك لما راؤه من التضييق عليهم وشدة باس الله الذى حل بهم من حصارنا اياهم

وقد بلغنا ان بعضا من اعداء الله الانجليز حضروا بدنقلا وارسلوا منهم جانبا الى جهة المتمه لكى يدخلوا الخرطوم من قبلها والى الان ما تم وصولهم بها وقد وجهنا لهم من طرفنا نحو احد عشر الفا والبشائر متواترة علينا بهلاك اولئك المخذولين وان بلغوا من الكثرة عدد الشجر

والمدر وزبد البحر ولافهامكم بما ذكروالعمل لما اشير لزم تحريره والسلام
فى ٢٦ ربيع أول سنة ١٣٠٢ هـ ١٣ ينايرسنة ١٨٨٥

سلمت حامية امدرمان واشتد الضيق على اهل الخرطوم وتسلل بعضهم وانحطت الروح المعنويه لمن بقى منهم . وقوة الانصار تضرب نطاقها على المدينه تتفوق فى العددوالعدة والروح . ومع ذلك ما كان المهدى يريد اقتحامها واخذها عنوةوما كان يريد للدماء الاراقه وللمدينه الخراب . فحذر اصحابه من معاملة المستسلمين بقوة . بل امرهم بحسن وقادتهم ورغب أهل الخرطوم فى التسليم لأمر الله وان لا تثريب عليهم فى عنادهم السابق . وبقى عليه ان يخاطب غردون بكلام صريح ولكنه لا يجرح فيه كبرياءه ويخبره ان العون سوف لا يصله من التجريدة الانجليزيه فبعث اليه برسالة هى

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله المعتصم به محمد المهدى بن عبدالله الى غردون باشا فسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان اعرضت كان عليك اثمك واثم من معك. فقد اتانى الخبرمن الرسول ان الجردة الاتية لوكان معى سته انفار تموت او خمسة تموت او واحد تموت أو وحدى كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر . وقد اتانى خبرها انها تموت أيسر من موت جردة ود الشلالى وهكس والمديريات الغربيه كلها والبحر الابيض . وكذلك موعودبجميع البلاد فالامر لله وما دام ان الله القادر ايدنى بالكرامات وبالنصر فلايضرنى افكار منكر وانما يضر نفسه فقط . والامر الذى وعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم صار . على ان الجردة التى تعتمدونها ما لها وجه بوصولها لكم من سد الانصار الطرق فان اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وان ابيت فلا قدرة لك على نقض ما اراده الله والسلام

فلما راى غردون اضطراب اهل الخرطوم علق منشورا فى المركز العسكرى والشوارع العموميه قال فيه :

« انه وان تكن حامية امدرمان قد سلمت فهى انما سلمت بامرى وانا اعتنى بعائلاتهم هنا واجرى لهم مرتباتهم كالاول وعن قريب تنقذهم من مخالب الاعداء لانه قد جاءت البشرى بان الجيش الانجليزى فرق جموعهم فى صحراء بيوضه وقتل منهم الوف ونزلت مقدمته فى المتمه وهى مسرعة لانقاذنا وبسبب هذه البشرى عفوت عن احمد بك جلاب مدير

الخرطوم وعن اشتركوا معه فى مراسلة المهدى واطلقت سراحهم من السجن »

وكان ميعاد مرتب الخمسه ايام الثانيه من يناير سنة ١٨٨٥ حسبما قرر المجلس العسكرى ولم يكن فى المخازن ما يكفى خمسه ايام . فعقد غردون مجلسا برئاسة احمد بك جلاب للبحث عن الذرة فى المدينه فلم يجدوا سوى ٣٦ اردب ثم امر فجمعت الابقار والاغنام وثمنت باثمان باهظه واعطى اصحابها (رجعا) لتدفع لهم عند رفع الحصار واستشار الاطباء فى اكل الصمغ فأقروا على اكله ولما تم جمع الذرة والماشيه والصمغ اجرى مرتب الخمسه ايام الثانيه من يوم ٦ الى ١٠ يناير

ثم بحث فى المجلس عما يجريه للعساكر بعد انقضاء هذه المدة فقر الرأى على قطع النخيل فى جناين الخرطوم واخذ قلبه وتجفيفه ففعلوا وكلفوا نساء العساكر فطحنه وخبزنه وصاروا ينفقون منه على العساكر مع ما بقى من الذرة والصمغ

ثم كانت واقعت ابى طليح فى ١٧ يناير وبلغ المهدى خبرها فى ٢٠ يناير فامر فانطلقت المدافع مئة طلقه وطلقه وهى علامة النصر . ثم جاءت اخبار النور عنقرة فى المتمه ونزول الجيش الانجليزى على النيل

وامل غردون ان الانجليز لا شك حاضرون بالوابورات من المتمة لنجدته فاصبح فى انتظارهم كل ساعة وقلق لتأخرهم عن المعياد الذى قدره لهم فكنت تراه يقضى اكثر ساعات اوقاته على سطح السراى والمنظار فى يده يوجهه الى الشمال لعله يراهم أو يرى اثارهم فيرجع خائبا وكان أهل الحامية قد نفذ منهم القوت الذى جمعوه فى المجلس الاخير وشرعوا فى اكل الكلاب والحمير والخيل والبغال . وصاروا يطلبون ربع الذره بمئة ريال نقودا ومائة جنيه ورق بون فلا يجدونه

وكنت ترى النساء حاملات الذهب فى ايديهن وهن ينطلقن فى الشوارع طالبات ربع الذره باربع اواق ذهبا فلا يجدنه واذا حظى صياد بسمكة فى الليل باعها فى الصباح بخمسين ريالا او اكثر

وكتب ابراهيم باشا فوزى فى كتابه السودان بين غردون وكتشنر الجزء الاول صفحة ٩٤ :

لما سقطت امدرمان وبرحت المجاعة بحامية الخرطوم استدعى غردون قناصل الدول واعيان النزلاء الاوربيين الى مجلس عقد بسراياه ثم

اتفق الرأى على اتدابى ومعى الاوربيون والقناصل لتبرح الخرطوم على باخرة صغيرة اسمها محمد على ونلحق بحط الاستواء او بالمتمة لنقابل جنود الانجليز القادمين غير ان احد القناصل ابدى رأيا قال فيه أن للعدو طوابى وموانع على النيل الابيض تجعل نجاة الباخرة من مقذوفاتهم مستحيلة وقال ان اللحاق بالمتمة اقرب الى السلامة فوافق الحاضرون على رأيه فلما استدعيت القناصل صبيحة الجمعة ٦ ربيع الثانى وطلبت منهم ان يكونوا ورعاياهم على استعداد عند منتصف الليل قالوا نرى ان العدو رسخت اقدامه حوالى المدينة وان مدافعه مطلة على كل مضايق النهر واننا نرى ان نتربص هنا ثلاثة ايام ريثما تصل الجنود الانجليزية فلم اقبل منهم هذا القول فذهبوا الى غردون وعرضوا مقالتهم فاستدعانى وامرنى بالاذعان لما اشاروا به

اشتد الجوع فى الحاميتين ام درمان والخرطوم ولاسيما فى الخرطوم فاخرج غردون العجزة والمساكين من النساء والرجال والاطفال الى المهدى بكتاب مفاده :

اعلم ان الجنس للجنس رحمة وهؤلاء المساكين يشتركون معك فى الجنسيه • وقد قضت الحال باخراجهم من الحاميه بعد ان عاشوا فيها سنة على نفقة الحكومة فصار عليك الان ان تتولى امر معيشتهم فافعل بهم ما انت اهله

وكان ذلك فى اواخر ديسمبر سنة ١٨٨٤

خرجت حامية الخرطوم فى يوم الخميس ١ يناير سنة ١٨٨٥ من باب برى بخمسمايه من العساكر السودانيه ثم بالف من الباشبوزق الى حيث كان يقود الانصار عبدالله ود النور

كما خرجت قوة مماثله من باب المسلميه

علها تعود ولو بما يفرج ازمة الجوع فما فلحت وعادت متقهقره فصبر غردون الجمعه ٢ يناير ١٨٨٥ لاستراحت العساكر وفى فجر السبت ٣ يناير ١٨٨٥ عاود غردون محاولة فك الحصار واردف الجنود بالوابور الاسماعيليه فسار فى النيل الازرق ولكن انصار الشاطىء الشرقى احاطوا بالوابور على طول الشاطىء ورموه بالرصاص والقنابل فانقلب راجيا فغضب غردون وامره برجوعه الى القتال فتلقاه اهل الشرق بنار اشد من قبل فرجع ثانيه

يقول شقير

أمر غردون بخيت بك بطراكى فى يوم الخميس ١ يناير سنة ١٨٨٥ بالخروج من باب برى بخمسمائه من العساكر السودانية ثم تبعه محمد بك الملك بالف من الباشبوزق وقصدا عبد الله ود النور فى برى وخرج البكباشى يوسف افندى عفت بخمسمائه من العساكر المصرية من باب المسلمية لحماية ظهر بخيت بك فلما قرب بخيت بك من برى خرج عليه الانصار فلم يسعه الا التقهقر

اما محمد بك الملك فاستل سيفه ودفع جواده فى وسطهم وقاتل حتى قتل

خروج حامية الخرطوم المرة الثانية فى ٣ يناير سنة ١٨٨٥

وصبر غردون يوم الجمعة ٢ يناير سنة ١٨٨٥ حتى استراحت العساكر وفى فجر السبت ٣ يناير ١٨٨٥ ارسل تلغرافا الى فرج باشا الزينى يامره بالتنبيه على عساكر الخميس ان يخرجوا مرة ثانية فى طلب القوت للحامية الا بخيت بك فانه امر ببقائه على خط النار وذهاب حسن بك البهنساوى فى مكانه قيل فتمارض البهنساوى فولى الامر السيد افندى امين صاحب واقعة الكلاكله فخرج من باب المسلميه ونظم عسكره قلعتين العساكر النظامية قلعة قادها بنفسه والباشبوزق قلعه ولى قيادتها للصاغ منصور عبد العال وسار بالقلعتين حتى صار نحو الف متر من خندق الخرطوم فوقف فجعل قلعة الباشبوزق قبالة انصار المسلميه والكلاكله وتقدم بقلعته نحو برى

هذا وقد فر يوم الجمعه عسكرى من الخرطوم الى النجومى واخبره ان العساكر خارجون اليه فى ثلاث قلعات تهاجمه فى الكلاكله وقلعه تهاجم عبد الله ود النور فى برى والثالثة تهاجم عبد القادر مدرع تجاه باب المسلميه فارسل النجومى اوامره المشددة الى قواده بالاستعداد للحرب فامر عبد الله ود النور اصحابه بان يسقطوا الى الارض ولا يباشروا القتال حتى يقرب العساكر منهم جدا فيخرجون اليهم اذذاك ويقتلونهم بالسيف والحربة

فلما قرب السيد بك من طابية برى ولم ير للانصار حركة بعث بفارسين كطليعه وعادا واخبراه بان الانصار اخلوا طوابيهم وارسل فارسين

اخرين فلم يريا احدا فتقدم بنفسه وامامه اوردى حتى اقترب من طوابى الانصار فهب الانصار من مراقدهم وبادروهم باطلاق الرصاص

وكان غردون يشاهد القتال بالمنظار فلما رأى جيشه توغل لحوبرى امر وابور الاسماعيليه فسار فى النيل الازرق ومعه الجبخانه للنجدة فما خرج الوابور من الخرطوم حتى انتشر الانصار الذين فى الشرق على طول الشاطىء ورموا الوابور بالرصاص والقنابل حتى انقلب راجعا فغضب غردون منه وامره باعاده الكرة فتلقاه اهل الشرق بنار اشد من قبل فرجع ثانيه

ولنعود فنقول ان تسليم طابية امدرمان كان يوم الاثنين ٥ يناير سنة ١٨٨٥

وبعد تسليم حامية امدرمان كتب المهدى الى غردون :

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله المعتصم به محمد المهدى بن عبدالله الى غردون باشا . فسلم تسلم يؤتك الله اجرك مرتين وان اعرضت كان عليك اثمك واثم من معك . فقد اتانى الخبر من الرسول ان الجردة الاتيه لو كان معى ستة انفار تموت وخمسة تموت او واحد تموت او وحدى كذلك ولو كانت مثل ورق الشجر ونبت الوعر وموج البحر وقد اتانى خبرها انها تموت ايسر من موت جردة ولد الشلالى وهكس والمديريات الغربية كلها والبحر الابيض . وكذلك موعود بجميع البلاد فالامر لله وما دام ان الله القادر ايدنى بالكرامات وبالنصر فلا يضرنى انكار منكر وانما يضر نفسه فقط والامر الذى وعدت به من رسول الله صلى الله عليه وسلم صار . على ان الجردة التى تعتمدو لها مالها وجه بوصولها لكم من سد الانصار الطرق فان اسلمت وسلمت فقد عفونا عنك واكرمناك وسامحناك فيما جرى منك وان ابيت فلا قدرة لك على نقض ما اراده الله والسلام ٩ ربيع اول سنة ١٣٠٢ هـ ٦ يناير ١٨٨٥ تحشية : وان طلبت زيادة بعد وصول جوابى هذا فتخبرك المرأة الواصلة اليك وان رايت التمكين واليقين ان اردت التسليم اكثر من هذا الجواب سنرسل لك عبدالقادر ولد ام مريوم لزيادة الطمأنينة فى الامان فلا مانع وبذا لزمت التحشية :

(الكتاب لثانى) ... وبعد فان اراد الله سعادتك وقبلت نصحنا ودخلت فى اماننا وضماننا فهو المطلوب وان اردت ان تجتمع على الانجليز

الذين اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاكهم فتوصلك اليهم فالى متى تكذيبنا وقد رأيت ما رايت وقد اخبرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهلاك من فى الخرطوم قريبا الا من امن وسلم ينجيه الله ولذلك احببت لك الا تهلك مع الهالكين لانا قد سمعنا مرارا فيك الخير ولكن على قدر ما كاتبناك للهدايه والسعادة ما اجبتنا بكلام يؤدى الى خيرك كما نسمعه من الواردين والمترددين

والان ما ايسنا من خيرك وسعادتك ولما سمعنا من الفضل فيك سنكتب لك اية واحدة من كتاب الله عسى ان ييسر الله هدايتك بها اذ جعلنا الله باب الرحمة والدلالة الى الله ولذلك طالما كاتبناك لترجع الى وطنك وتحوز فضائلك الكبرى ولئلا تيأس من الفضل الكبير اقول لك قال الله تعالى «ولا تقتلوا انفسكم ان الله كان بكم رحيما» والسلام ٢٠ ربيع أول سنة ١٣٠٢ هـ ٧ يناير سنة ١٨٨٥

وقد بلغنى فى جوابك الذى ارسلته الينا انك قلت ان الانجليز يريدون ان يفدوك وحدك بعشرين الف جنيه ونحن نعلم ان الناس يتقولون من البطال كلاما كثيرا ليس فينا وذلك لصدود من اراد الله شقاوته ولا يعلم تفيه الأمن اجتمع بنا وانت ان قبلت نصحنا فبها ونعمت والا ان اردت ان تجتمع على الانجليز فبدون خمسة فضه نرسلك اليهم والسلام

فاجاب غردون برفض التسليم وطلب ارسال عبدالقادر ام مريوم فكتب الامام المهدى الخطاب الثالث الاتى :

نعلمك ان جوابك رد المحرر منا وصل الينا وفهمنا مضمونه وقد عذرناك فى عدم اذعانك واجابتك لنا بالطاعة كما طلبنا منكم وذلك لانك لم تدر الحقيقه التى نحن عليها وبحسب مقامنا ودلالتنا الى الله وشفقتنا على عموم خلق الله حتى من هم مثلك لم يطب قلبنا بصرف النظر عنك ولا زلنا نداريك عسى الله ان يهديك الى سواء السبيل . فاجب داعى الله واغتنم سلامتك من الشر الوبيل فقد رايت ما حل وتزل ولا زلت ترى ولا طاقة لك ولا لاعوانك على حرب جند الله عز وجل . ولقد ذكرت ان عبدالقادر ولدام مريوم حبيبك وتقبل قوله ونصيحته وطلبت ارساله اليك فعلى ماذا ؟

هل انت منيب الى الله وقصدك التسليم لنا على يد المذكور ؟ ام

انت على تصميمك فى اعراضك ومعاداتك لربك افدنا على هذا لنعلم طلبك له على اى الوجهين هو ونرسله لك ان رأينا فى ذلك صلاحا للدين

واقول لك ان عزة الاسلام خير لك وابقى لدوام احترامك فى الدارين فتحل بها ان عقلت والسلام فى ٢١ ربيع الاول سنة ١٣٠٢ هـ ٨ ينـاير سنة ١٨٨٥

الحملة الانجليزية

قر رأى الحكومة الانجليزية على أرسال حملة منظمة لانقاذ غردون وانالحة قيادتها العامة باللورد ولسلى واجملت له الغرض من الحملة بقولها

ان الغرض الاساسى من الحملة انما هو انقاذ الجنرال غردون والكولونيل ستيوارت من الخرطوم فمتى تم هذا الغرض فلا تباشروا حركات عدائيه ايا كانت والحكومة تعتمد عليكم بانكم لا تتقدمون جنوبا الا بقدر ما يلزم للحصول على هذا الغرض

وجيشه مؤلف من ٩ الاف من العساكر الانجليزية منها ٤ الاف تكون مع الجيش المصرى بين الشلال وحنك بربر للمساعدة على النقل

وكان خط التلغراف ممتدا الى مروى فأخذ معه جميع معدات التلغراف ليمده من حيث اراد جنوبى هذا هذا الخط ، ونظم البريد احسن تنظيم

ووصلت اول اورطه من جيشه تسارلس ولسن رئيس قلم المخابرات دنقلا فى ٢٠ سبتمبر واستلم قيادتها السير هربرت ستيورت .

ويقول شقير وقد كان من نصيبى انى رافقت هذه الحملة موظفا فى قلم المخابرات فوصلت معها الى ابار الجكدول رشهدت بعينى «حوادثها» فوصل ولسلى حلفا فى ٥ اكتوبر سنة ١٨٨٤

وكان معه ٩٠٠ قارب يسع كل قارب ١٢ رجلا بعدتهم وسلاحهم ومؤنتهم وكلها صالحة لسلوك اضيق الشلالات فابقى منها ٢٠٠ بين اسوان وحلفا . وارسل الباقى بالعساكر الى دنقلا

واجاز فوق شلال حلفا وابورى ناصف الخير والجيزه من وابورات الحكومة المصرية فوصل الاول دنقلا ١٠ اكتوبر سنة ١٨٨٤ وغرق الثانى

وجاء بوابورين من بلاد الانجليز قطعا وبناها وهذا ما سهل به النقل واجتمع الجيش كله فى كورتى فى ١٦ ديسمبر ١٨٨٤ وقسم اللورد ولسلى جيشه

جيشا بالنيل ، وجيشا يسير بطريق الصحراء الى المتمه بقيادة

الجنرال السير هربرت سيتوارت الذى سار بجيشه كله حتى الجكدول ومن الجكدول قاصدا المتمه وكانت قوته ١١٥ ضابطا ١٦٨٧ عسكريا انجليزيا ٨ عساكر مصريه ٣٤٠ من الخدم ١٥٣ جوادا و٢٨٨٨ جملا ومزودا بالاسلحة الحديثه

ومن رجالاته ، السير شارلس ولسن رئيس قلم المخابرات والكبتن كتشنير (اللورد كتشنير او فى خرطوم بعد ذلك) وكان اركان حرب المخابرات وصحبه من السوريين جورج افندى زيدان من كبار موظفى المخابرات والمؤرخ ومؤسس دار الهلال

ولما كان الامام المهدى محيطا بدقائق هذه الحملة وتحركاتها ارسل سرية من جيش الخليفه على ود حلو وهم دغيم وكنانه وعقد لواءها للامير موسى ود حلو شقيق الخليفه على ود حلو وامرها بمقابلة الانجليز فى الصحراء وقيل أن تلك السريه كان قوامها ٣ الاف مقاتل وامر الامير محمد الخير فى بربر بارسال سريه من بربر تنضم الى سرية الامير موسى ود حلو فارسلها بقيادة ابن اخيه الامير عبد الماجد محمد خوجلى واوعز الى الامير الحاج على و دسعد فنادى بالنفير العام فى بلاد الجعليين فكانوا وجيش الى الماجد ٨ الاف مقاتل ، فكانت واقعة ابى طليح فى ١٧ يناير سنة ١٨٨٥

محاولة تسميم المهدى

وجاء فى الصفحة ٧٠٠ من الجزء الثالث لشقير نص المحادثة التى وفق الى هنا المؤلف عندما اجتمع بالقائد عبد القادر باشا فى حلوان بشأن ولايته على السودان نأتى هنا على جزء من تلك المحادثه قال شقير :

قلت اصحيح انك ارسلت سما الى المهدى فى قدير فنجا منه :
قال عبدالقادر باشا :

نعم ولكن سبق رسولى اليه رسول من الزبير ود ضوه فحذره منه . واوعزت الى محمد شريف باشا والياس باشا ام برير فارسلا اليه سما من الابيض ولكن عاد الياس باشا فارسل اليه رسولا وحذره منه ،

وجاء فى الجزء الاول من تاريخ حياتى لاستاذ الجيل المرحوم بابكر بدرى

لما وصل جيش الحملة الى المتمه وعلم المهدى بذلك جمع اهل شوراه واتفقوا على التعجيل بفتوح الخرطوم قبل وصول جيش الحملة وفعلا فى ليلة الاثنين ١٦ ربيع ثانى اخر سنة ١٣٠٢ جاء المهدى وجمع له الجيش بين حلة الغرقان ومدينة الخرطوم فخطبنا وهو على عم جمل مما قاله قبل البيعه الاخيره ان اعداء الله قد حفروا حفرة القفرة (الخندق) عريضه غريقة وبشوافيها ضريساء الحديد وهى اربعة اشواك من الحديد تعتمد دائما على ثلاثة وترفع الرابعة لتدخل فى رجل الرجل والفرس فبايعونى على قص الرقبة وسكت هنيهة حتى قال كل الجيش بصوت واحد بايعناك على قص الرقبة . كرر هذه العبارة ثلاث مرات وبعد ذلك قال اذا فتح الله عليكم فغردون لا تقتلوه والشيخ حسين المجدى لا تقتلوه والفقيه الامين الضرير لا تقتلوه ولهم رابع نسيته ثم قال من رمى سلاحه لا تقتلوه ومن قفل عليه بيته لا تقتلوه فعارضه رجل اسمع صوته ولا ارى شخصه قائلا يا سيدى فى بعض الجردات التى قتلناها رأينا العسكرى يرمى سلاحه فاذا تعديناه اخذ سلاحه من الارض ويرمينا او يضربنا به فقال المهدى عم بعد ماسمع كلامه الذى تجدونه فى خط النار اقتلوه قال تعالى : فلم يك ينفعهم ايمانهم لما رأوا باسنا »

ثم بايعناه البيعة المعتادة واورد نصها ثم قال : وقلعت الرايات وقصدنا القفرة فكان طريقنا من الجنوب الغربى حيث دخل النيل الابيض فى الخندق ورجع فردم الخندق وكنت فى اوائل الناس فلم اشعر بانى مررت على خندق حتى وجدت نفسى عند المدفع الذى كان يضرب فينا فلما وصلنا دخل الذين كان يضربونه فى خيمة والقوها عليهم فقتلوا تحتها وما زلنا نتقدم على شفير الخندق الداخلى حتى وصلنا قبالة سراى غردون فالتقينا بالانصار الذين دخلوا عن طريق برى وملنا نحو السرايا فوجدنا غردون ملقى ودمه يجرى فغضبنا على قاتله حيث اوصى المهدى قبل ساعتين باعلى صوته بعدم قتله وكانت الساعه ٤ او مايقرب من ذلك ثم اخذنا شارع النيل حتى وصلنا قبالة الجامع فعجنا عليه فوصلناه عند شروق الشمس فرأيت الفقيه الامين الضرير بالجامع وعليه جبه صفراء

وعمته كبيره على طربوش ولم اذكر نون القفطان تحت الجبه فحمدت الله على سلامته اما الشيخ حسين المجدى فقد قتل الى ان استطرد الى حوادث الساعه ١٢ وقال ان العامل قد امران يرتفع السلاح والانصار يحوزون المنازل من اهلها وامرسكان الخرطوم بالخروج الى الديم

ويقول فى صفحة ٣٧ من ذات الجزء : سمعنا ليلة الجمعه ان المهدى عم سيزور الخرطوم ضحى يوم الجمعه ٢٠ ربيع آخر فنزلت فيمن نزل للنيل للقائه فجاء وخاض الشاطىء كعبيره وركب حصانا أسودا بلجامه وسرجه كناتل وسرنا خلفه حتى وصلنا بيت المال وكان بمنزل المفتى شاكر فنزل عند الباب ودخل وكنت خلفه مباشرة فوجدنا ابراهيم ضرار ابن خال احمد سليمان المحسى أمين بيت المال وكان من عماله فصعد السلم وصعد المهدى عم وصعدنا معه وكنت متلصقا بصفحته فاول ما فتح له الغرفه المحفوظ فيها الذهب من حلى وجنيهات وسبائك اكواما وتوهج الذهب التفت المهدى عم عنه بسرعة البرق وصد عنه . الى ان قال : فلما نزل من السلم راى الميزان ذا الرمانه قال ما هذا ؟ قيل له ميزان يا سيد للمثقلات فقال هل يبين نصف الرطل قيل له نعم فأذن فى استعماله فلما خرجنا من باب السور قابلته امرأة تبكى فقالت ياسيدى المهدى ابنتى باطفالها فى الزريبه وهم متعبون اتأذن لى فى اخذها فقال لها ما هى الزريبه قالت المكان الذى جمعت فيه النساء . فطلب احمد ود سليمان وهو واقف مكانه فقال : ما الزريبه ؟ فقال احمد ود سليمان . الزريبه اسم المكان الذى جمعنا فيه نساء الخرطوم اللائى لم نجد لهن معارف قال له امش بنا لها لانظرها وتبعناه طبعا فلما قربنا سمعنا ضجه كبيرة فلما وصل امر احمد سليمان قائلا : يا احمد كل هذه الحريمات يوزعن قبل غروب الشمس فمن عرفها احد او عرفت هى احد تسلم له والشباب ممن لم يعرفن ولا يعرفن احدا زوجوهن ورجع ونحن معه واحمدودسليمان امامه حتى وصلنا منزل احمد سليمان وجاءوا بزلابيا ففطرنا ورجعنا الى منازلنا وفى آخر خطبته قال : يا اصحاب حيث خطب المهدى عم وصلى بالناس وفى آخر خطبته قال : يا اصحاب المهدى احمد سليمان شغل الاشراف بالمال قولوا : نعوذ بالله من حالهم ثلاث مرات وهم طروق كانما على رؤوسهم الطير وهم عشيرته الاقربون بينهم اعمامه وابناء اعمامه .

وفى عصر هذا اليوم زار المهدى عم قبر والدته وهو على الربوة التى

بجنوب اسبتالية العيون بالقرب من الباب الذى يقفل للقطارات

وفى يوم الاربعاء ثالث يوم الفتح نحو الساعة ٤ مساء بالافرنجى وصلت الخرطوم وابوران مرسلان من جيش الخلاص ولعله وصل خبر فتح الخرطوم ليتأكد من ذلك وقد وصلت شرق الاسكلة حيث كنا بجنينة النور الخبير (جنينة الاوقاف) فضربناها بالبنادق وحينما تأكدت من وجودنا بالخرطوم رجعت وصار المهدى يتنقل بين امدرمان التى اسست جديدة شمال بلدة امدرمان التى كانت قرية صغيرة «تكنات الجيش الان» حيث قبورها ظاهرة تردد بينها والخرطوم حيث اتخذ بيت بابكر الجاركوك منزلا له وتزوج ابنته وجعله مسجد صلاته لغير الجمعة واصحابه الموجودين بالخرطوم الى ان قال

لم يسكت المهدى على قتل الانجليز لجيش موسى الحلو بابى طليح فبعد شهر امر جيش ود النجومى بالتوجه للمتمه لطرد الانجليز منها وكنت فى هذا الجيش حيث ركب معنا المهدى نفسه الى كررى حيث زار قبر والده وودعنا هناك بتجديد البيعه ورجع

يقول الدكتور شبيكه عن موقعة الخرطوم

ركز المهاجمون فى فجر يوم ٢٦ يناير سنة ١٨٨٥ هجومهم على الثغرة التى تقع فى طرف الاستحكامات من جهة النيل الابيض والتى لم تتم تقويتها عندما نزل النهر بعد الفيضان . والتى يقال أن السنجق عمر ابراهيم من ضباط الحاميه افشى سرها للانصار بعد فراره والتجائه اليهم وقبل الهجوم قضى الانصار ليلهم بين ركوع وسجود وتهليل وتكبير فما ان صدر الامر حتى فتحت نيران شديدة من المدافع والبنادق على الاستحكامات على طول الخط . وتحت هذا الستار من النيران تسلل عدد منهم الى الثغرة وباغتوا ما خلفها من العساكر ملتفين حولهم الى الجنود الذين يحمون الاستحكامات وتسلق بعضهم فى اجسام بعض حتى علوا على الاستحكامات وهبطوا من ناحيتها الاخرى منقضين على جنود الحاميه انقضاض النسور من شاهق . وسرعان ما اختلط المهاجم والمدافع وسرعان ما نشب قتال اليد باليد الذى يجيده الانصار . وذهب بعضهم الى ابواب الاستحكامات ففتحها وتدفق سيل الانصار . وعندما احتدمت المعركة رجع بعض الجند الى المدينه ملتجئين بدورها . وخرج بعضهم الى خارج الاستحكامات يلقون السلاح مستسلمين . وذهب فريق من

الانصار توا الى السراى يقتلون من اشهر السلاح امامهم ثم انصرف الدكتور الى الحديث عن مقتل غردون واكتفى بهذا القدر عن الموقعة

وزاد فوزى فى تاريخه ان المهدى امر ود النجومى ان يقسم مقاتلته الى ثلاثه فرق كقلب وجناحين ويكون ود النجومى فى القلب ومعه الفرسان ويكون قائد الميمنه الحاج محمد ابوقرجه ومعه حملة البنادق ويكون قائد المسيرة محمد نوباوى شيخ قبيلة بنى جرار ومعه المسلحون بالحراب والسيوف • وان يكون هجوم القلب على نقطة الوسط من الخندق عند البرج المعروف باسم (باب المسلميه) وهى مقر فرج بك الزينى قومندان الحامية ويكون هجوم الميمنه على الخندق مما يلى النيل الازرق جهة برى ويكون هجوم المسيرة على الخندق مما يلى النيل الابيض عند المكان الذى انحسر عنه ماء النيل وتراكمت عليه الاوحال وصار فى الامكان الوصول الى المدينه منه الى ان قال :

وقفل المهدى راجعا الى امدرمان ومعه الخليفه عبدالله وترك الخليفتين محمد شريف والخليفه على ود حلو واجتاز النهر ايبا الى امدرمان • وصدرت الاوامر الى حمدان ابى عنجه قائد الجيش فى امدرمان باطلاق قنابله تباعا على الخرطوم من عصر الاحد ٨ ربيع الثانى الى ظهر يوم الاثنين ٩ من ربيع الثانى وان يصوب قنابله على مضيق النيل لمنع اى باخرة تقصد الجهة الشمالية

وكعادة فوزى فى المبالغة قال : ـ واجتاز النهر من امدرمان الى معسكر ود النجومى نحو مائة الف مقاتل ليشتركوا فى اسقاط المدينة وكلهم صاروا من مقاتلة المسيرة لانهم مسلحون بالحراب والسيوف

هذا ما كان من امر المهدى وامـا حالة المدينه والحامية فقد اصبحنا يوم الاحد وجو المدينه مكفهر والسماء متلبدة بالغيوم والشمس محجوبة عن العيون والبرد قارس خلافا لعادة الطقس فى السودان اذ الجو يكون صحوا والشمس بارزة باشعتها المحرقه فى كل ايام الشتاء • وقد عد البسطاء تلبد السماء واحتجاب الغزالة بما ينذر بالمطر فى مثل ذلك اليوم كرامة من كرامات المهدى وكان غردون ومعه قناصل الدول واقفين على سطح السراى ينظرون بالنظارات المعظمه الى كثرة الذين يجتازون النهر ويلحقون بمعسكر ود النجومى وقد استنتجوا من تكون الناس فى صعيد واحد ان المهدى لابد ان يكون فى معسكر ود النجومى

ولا بد ان يكون قدومه لشأن ذى بال لانه لم يقدم الى معسكر ود النجومى منذ حل بام درمان . الى ان قال :

اقبل الليل ولاتزال السماء متلبدة بغيوم حجبت نور القمر فقال غردون للقناصل لقد رايتم تجمع العدو وانى موقن بسقوط المدينة قبل ان يسفر الفجر

ثم استفاض فى محادثات بينه وغردون حتى قال :

خرجت من السراى وقصدت دار المحافظه واجتمعت بالعسس الاوروبى وتجولت معهم فى المدينه وحوالى الجبخانه ثم عينت اهم مواقعهم وابقيت معى ثلاثين جنديا من المصريين وقصدت دار المحافظه اواخر الساعة العاشرة فالفيت بها أشارات فهمت منها ان لدى الحامية اخبارا بان العدو على وشك الهجوم على الخرطوم فشرعت فى تدوينها منذ الساعة الحادية عشر ولم افرغ منها حتى سمعت ضوضاء الانصار قد دخلوا من جهة النيل الأبيض . فجمعت الثلاثين جنديا الذين كانوا معى وادركنا فى الطريق ثمانيه من اليونانيين العسس الاوروبى وقصدنا سراى غردون فبلغناها والفجر قد ظهر ولم نكد ندنو منها حتى ابصرنا نحو عشرة الاف من العدو محيطين بها فتقهقرنا راجعين الى دار المحافظة وما بلغناها الا بعد اللتيا والتى وهناك اقعد الجنود فى النوافذ وصوبوا البنادق على كل من اقترب منا حتى منتصف النهار حيث احاط بنا العدو واسلمناه انفسنا

وكان هجوم الانصار الرئيسى من القلعات الثلاث المواجهة لباب الكلاكلة وباب المسلميه وباب برى وكانت اجنحة هذه الصدور الثلاثة تكاد تكون متصلة ببعضها حتى ان خط الهجوم كان سائرا فى نصف دائرة مرتكزة على النيلين الابيض والأزرق وكانت القيادة العامة للامير عبدالرحمن النجومى مع اشراف الخليفه شريف قاعدتها الرئيسيه بحلة الغرقان . وكانت امارة المسلميه لحاج محمد ابوقرجه وكان قسم برى تحت قيادة عبدالحليم مساعد

كان اهتمام القيادة محصورا فى القضاء على خط النار اولا وبذلك تم تتبع الانصار للعساكر الذين انهزموا فى دفاعهم عند باب المسلميه وكما قاموا بتطويق طابية برى من الخلف فقضى على الدفاع فى مدة وجيزة ثم اتجهت الجموع صوب المدينه فتم الفتح قبل ان ينتصف النهار وما النصر الا من عند الله . وقد تم فتح الخرطوم فى التاسع من ربيع الثانى عام ١٣٠٢ هـ

كتب الامام المهدى فى يوم ١٢ ربيع آخر سنة ١٣٠٢ هـ الموافق ٢٩ يناير سنة ١٨٨٥ الى الامير محمد خالد زقل عامل دار فور بعد البسملة :

وبعد فمن العبد المفتقر الى الله محمد المهدى بن عبد الله الى حبيبه فى الله وعامله وابن عمه محمد خالد تولاه الله بلطفه وحرسه بعين عنايته امين منالكم السلام ورحمه الله وبركاته ثم اعرف الحبيب انه بمقتضى وعد الله الوفى ولطفه الخفى قد صار فتوح مدينه الخرطوم بعون الله القيوم وذلك يوم الاثنين الموافق ٩ ربيع آخر سنة تاريخه بعد انفلاق الصبح بواسطة انصار الدين فقد استعدوا واقتحموا الخندق توكلا على رب العالمين فلم يكن قدر ساعه او اقل الا وحل باعداء الله ما حل من قطع دابرهم عن آخرهم مع شدة استعدادهم وفى اول الصدمة ولوا الادبار منهزمين بين يدى جند الله الانصار ظانين السلامة بدخولهم الحيشان واغلاق ابوابها فاتبعوهم ضربا بالسيوف وطعنا بالرماح حتى كثر الصياح واشتد الانين وجندلوهم فى الحين ثم استحصلوا على الباقين الذين اغلقوا الابواب خشية من نزول العذاب فاخذوا وقتلوا تقتيلا ولم تبق لهم بقيه الا القليل والموالى والذريه .

اما عدو الله الغردون فعلى قدرما انذرناه ولاطفناه بان يرجع وينيب الى الله فلم يكن ليفعل ذلك لسبوق شقاوته وزيادة غباوته حتى بلغ اجله منتهاه وحصد بالندامة مازرعه من خطاياه واسكنه الله دار غضبه التى ساءت مستقرا ومقاما فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمدلله رب العالمين فويل لمن كانت النار جزاه وهنيئا لمن كانت الجنة مسكنه ومأواه جعلنا الله واياكم من الفائزين برضائه الاكبر وعظيم خيره المستقر وقد فاز بالشهادة عشرة من اصحابنا فى هذا الفتوح ولم يصب الباقين شىء من جراح او نكبة وذلك الفضل من الله وما النصر الا من عند الله وقد سجدنا شكرا لله على نصرة الدين فافعلوا انتم كذلك

الخرطوم بعد سقوطها

لما كانت مدينة الخرطوم عاصمة السودان فسقوطها فى قبضة المهدى صير السودان كله خاضعا له ولا عبرة باقليم دنقلا الذى كان وقتئذ مقر الحمله الانجليزيه كما كانت توجد مدينتان لم تخضعا له بعد وهما مدينة سنار عاصمة اقليم سنار ومدينة كسلا عاصمة مديرية (التاكا) وحالة تينك المدينتين كانت منذرة بقرب بسقوطهما يقول صاحب كتاب السودان بين يدى غردون وكتشنر :

ابتدأت موقعة الخرطوم عند طلوع الفجر وقبيل شروق الشمس اصدر الخليفه (شريف) الاوامر بالكف عن القتال ولم يكن بين قتلى تلك المعركة امرأة واحدة

وامر السكان بالخروج من المدينه والبقاء فى البقعة الواقعة بين الخندق ومعسكر ود النجومى ثم تحدث عن الاجراءات التى قام بها امين بيت المال حول جمع الغنائم واتقاء القبض عليه بصفته محافظا للخرطوم حتى قال بتصرف :

وفى اليوم الثالث اخرجونى من السجن وارسلونى الى منزلى فوجدت به احد الامراء المشهورين بالورع والتباعد عن الغنائم فجمع امتعتى وكتبها فى ورقه وعرضها على فلم أجد شيئا مفقودا منها ثم قال :

فساقنى ومعى ما خف حمله من الامتعه الذهبية والفضية والنقود وبعض حلى مجوهرة الى امين بيت المال وعند فتح تلك الصناديق امام امين بيت المال كان ضمن محتوياتها صوانى وطقوم للقهوة والشاى مصنوعة من التبر على طريقة صناع الخرطوم الماهرين وهى عبارة عن اسلاك مسبوكه يتألف منها كل واحدة من تلك الاوانى . وذهبوا بى بعد ذلك الى ابى قرجه وكان نازلا بديوان المديريه فابتداته بالتحيه فرد باحسن منها وسأل عنى الحراس فتقدم رئيسهم اليه واسر اليه قولا لم اسمعه فالتفت الى بسكينة وحنان وامر بفكى وامرنى بالجلوس وسقانى شراب العسل الممزوج (بالماء) ثم (الابرى) وبعد برهة خاطبنى قائلا :

ان الدنيا فانيه وان زمن المهدى ليس كما تقدم من الازمان وان المال اصبح لبيت مال المسلمين فقلت له : يا سيدى ليس لى مال غير ما اخذ منى وغردون لا مال عنده والخزانة الاميرية ليس فيها غير اوراق البون

فقال اتحلف بالله العظيم قلت احلف بالله اننى ما قلت الا الصدق فابقانى فى منزله ليلتين بعد ان صرف عنى الحراس وكان يقدم لى الغذاء المكافى منفردا وكان كريما يأكل معه نحو الثلاثين رجلا من خواصه وقال انه لا يمنعه من تناول الطعام معى الا اننى لم اقابل المهدى ولم اخذ عليه البيعة فاظهرت له رغبتى فى ذلك فارسل معى مندوبين حافظوا على واجتازوا معى النهر حتى اوصلونى منزل يوسف منصور قومندان طوبجية المهدى وابلغه المندوبون ان ابى قرجه ارسلنى له ليقدمنى للمهدى فقضيت تلك الليلة فى منزله وفى ظهر الغد رافقنى الى دار المهدى ومعنا السيد بك جمعه مدير الفاشر فالفيناه قد فرغ من صلاة الظهر والناس حوله وهو يعظهم فتقدم يوسف منصور اليه وقال يا سيدى الامام المهدى ها هو ابراهيم فوزى فالتفت الى بوجه باش وقال :

يا ابراهيم فوزى اننى اعرفك منذ كنت حاكما فى مقاطعات البحر الابيض فلماذا ركنت الى الكفار ولم تسلم لى فقلت يا سيدى ؟

اننى من كبار قواد الحكومة ولا يليق بى ان اتركها فى اوقات الشدة وسويعات الازمات وكما اننى وفيت لها سأوفى لك أيضا فتبسم وقال لقد عفوت عنك وامرنى بالدنو منه فدنوت فبايعنى بيعته المعلومه وكسانى جبة مرقعه وامر لى بسلاءة للغطاء واناء لطبخ الطعام وقصعة للاكل وجاريه ولنرجع الآن الى السير تشارلس ولسن الذى سار بوابورى بوردين وتل حوين من القبة فى صبح ٢٤ يناير سنة ١٨٨٥ للخرطوم فوصل ود الحبشى فى رأس شلال السبلوكه فتلقاه الفقيه مصطفى الامين بالقنابل والرصاص وكان قد ارسله المهدى نجدة الى النور عنقرة ومقاومة الوابورات فاقام فى ود الحبشى وبنى فيها طابية فرماه السير تشارلس ولسن ببعض القنابل عصر ٢٥ يناير ومر منه . وفى صباح ٢٦ يناير وهى ساعة سقوط الخرطوم ارتطم وابور بوردين فى صخرة فعلق بها فأفرغ شحنه واخرج منها ثم لم يسر الا قليلا حتى غرز فى رملة فاخرج منها فتأخر فى الحادثتين ٢٤ ساعه . وفى عصر ٢٧ يناير وصل شمال التمانيات فرماه الاهلون بالرصاص وسمع رجلا ينادى : (الخرطوم سقطت والغردون مات) فلم يصدقه وسار حتى اتى التمانيات فقطع الخشب وقودا للوابورين وبات فيها ليلته الى فجر ٢٨ يناير فاستطرد السير جنوبا الى الساعه ١١ صباحا فاطل على الخرطوم وهو اذ ذاك شمالى الحلفايه فى النقطه التى طالما

وجه غردون نظره اليها ليرى تباشير النجدة وهناك سمع ايضا رجلا ينادى « الخرطوم سقطت والغردون مات » وكان خبر الوابورين قد وصل المهدى فاصدر امره الى امرائه فى الشرق والغرب والخرطوم بالاستعداد لصدهما .

اقام اهل الشرق خط نار فى الحلفايه واخر فى جزيرة توتى وتحصن ابو عنجه فى طابية امدرمان والنجومى فى طابية المقرن بالخرطوم وجال الوابوران بين الحلفايه والخرطوم وانهالت عليهما المقذوفات وتيقن القائد ان الخرطوم قد سقطت فقفل راجعا نحو المتمه وما نجا من الخطر حتى العصر وما وصل جبل الرويان عند قدم شلال السبلوكه حتى ارتطم وابور تل حوين فى صخرة فغرق فى عصر ٢٩ يناير سنة ١٨٨٥

ونقل ولسن امتعة تل حوين ورجاله الى وابور بوردين وسار حتى اتى جزيرة مرنات على ٣ اميال جنوبى ود الحبشى فارتطم فى صخرة تحت الماء فغرق وذلك فى ٣١ يناير فانزل القائد رجاله وامتعته الى البر الشرقى وارسل اللفتننت استيوارت ورتلى فى قارب الوابور الى القبة يطلب النجدة فوصل القبة الساعه ثلاثه من صباح ١ فبرائر

فاخذ اللورد بارسفورد بعض العساكر فى وابور الصافيه واسرع لنجدتهم فلما قرب من ود الحبشى بادره الانصار بالقنابل واضطر ان يسير على ٧٠ ياردة من الشاطى لقلة ماء النيل اذ ذاك فاصابت قنبلة قيزان الوابور فعطلته فرسى به فى البر الشرقى على مسافة ٥٠٠ بارده من طابية الانصار ليصلحه اما السر تشارلس ولسن فقد شحن امتعته فى نقر وجره بازاء الشاطىء وسار هو ورجاله فى البر محاذيا له حتى وصل الى حيث اللورد تشارلس بارسفورد فشاركه فى محاربة الانصار الى ان اصلح القيزان فنزل هو ورجاله وامتعته فى الوابور وقفلوا كلهم راجعين الى القبه فوصلوها مساء ٤ فبواير

اما المهدى فبعد ان عاد الوابوران عن الخرطوم قد اصدر امره الى ود النجومى فحشد جيشه فى كررى وزحف فى ٨ فبرائر قاصدا الانجليز فى القبة وكان بالمتمه نحو الالفين من الانصار ومعهم مدفعان ومن الف الى الف وخمسماية بندقية فرأى الجنرال بل وجوب اخلاء القبة والعودة الى ابى طليح فارسل جميع الجرحى والمرضى وفيهم الجنرال استيورت الى الجكدول . وفى فجر ١٤ فبرائر لحق بهم بنفسه مع باقى القوة (١٧٠٠)

مقاتل بعد ان عطل الوابورين الباقيين ليوهم اهل المتمه انه لم يزل محتلا القبه ورمى بالمثقلات فى النيل وترك بعض الخيام منصوبة والانوار موقدة فيها

لما ابيدت حملة محمد على باشا فى واقعة ام ضبان ونمى الى غردون تقدم الامير عبد الرحمن النجومى الى الخرطوم وان المهدى زاحف عليها بخيله ورجله ايقن ان مصيره الى الهلكة ولا نجاة له بغير وصول النجدة اليه من مصر . بعث الكولونيل استيوارت وزوده بكتب الى رؤساء حكومة الخديوى وحكومة جلالة الملكة بطلب المعونة والنجدة مع وصف حالة السكان فى الخرطوم وما يتوقعه لهم من مصيبه اذا وقعوا تحت مخالب المهدى

واحص المصريين الذين يسكنون الخرطوم فبلغ عددهم مائتى نسمه وارسل قائمة الاحصاء مع الكولونيل ستيوارت ثم استدعى اعيان المدينه وضباط الحاميه والموظفين والنزلاء الاوربيين الى مجلس عام وشاورهم فى انه يريد عمل طريقه لخلاصهم وانه خابر الحكومتين المصريه والانجليزيه ولم تصغيا لندائه واقترح ان يطلب النجدة من السلطان عبدالحميد فوافقوا على اقتراحه ووقع اربعة الاف رجل من اعيان الخرطوم عدا الضباط والموظفين على عريضة استرحام ووقع عليها ايضا كل مكلف من سكان الخرطوم وسلمت العريضه الى الكولونيل ستيوارت والح عليه غردون بضرورة ارسالها الى جلالة السلطان عبدالحميد على لسان البرق لدى وصوله دنقلا . وعين المستر باور قنصل انجلترا فى الخرطوم والمسيو هر بن قنصل فرانسا فى الخرطوم لمرافقة استيوارت وعين الباخرة عباس لنقل الكولونيل ومن معه وعليها مدفع واربعه عساكر طبجيه . والتمس من غردون نحو ثلاثين رجلا من الاوربيين والسوريين كانوا تجارا فى الخرطوم ان يسافروا بعائلاتهم مع مراكب شراعيه تقطرها الباخرتان اللتان تخفران باخرة استيوارت حتى بربر ثم هم يجتازون الشلالات فيصلون الى حدود دنقلا فاجاب غردون التماسهم وعين باخرتين كبيرتين وعليهما نحو الف جندى ومدافع تحت قومندانية القائمقام عثمان حشمت بك واصدر اليه الاوامر بالمسير بجانب باخرة استيوارت وان تكون مراكب التجار مقطورة خلف الباخرتين فاذا اجتازوا بربر ترك المراكب وشأنها وان يقف بالباخرتين عند مكان اسمه (غنينيطه) شمال بربر مدة اربع وعشرين ساعه حيث تكون باخرة استيوارت اجتازت الشلالات

وعلى هذا غادر الكولونيل ستيوارت الخرطوم فى اواخر شهر ذى القعده سنة ١٣٠١ هجريه ووصل بعد ثلاثه ايام بربر وسافرت باخرة استيوارت وحدها فاجتازت الشلال الاول بسهولة وبعد ثلاثه ايام آخر وصلت الى صخرة اتلفتها ودخلت المياه الى جوفها وتجىء قصة مقتل الكولونيل ومن معه بالباخرة فى جيهات الرباطاب وجمع ما عندهم من الاوراق وارسالها الى محمد الخير حاكم بربر وارسلوها الى محمد الخير حاكم بربر من قبل المهدى فاسرع بارسالها الى المهدى الذى كان وقتئذ قد غادر الرهد ونزل جهة (شاة) فسر بها واطلق المدافع سرورا بهذه البشرى وارسل الى غردون بكتاب يدعوه فيه الى التسليم ويخبره بغرق الباخرة ومقتل ستيوارت وما استولى عليه الانصار من وثائق اسراره

سكان الخرطوم

كان سكان الخرطوم اغنى اهالى السودان واكثرهم مالا ولما احسوا بقدوم المهدى عليهم هجر اكثرهم الخرطوم ولحقوا بمصر وكانوا من الطبقة الراقية جدا وارسل اكثر التجار اموالهم الى مصر وغيب الباقون اموالهم فى بطن الارض ولم يتحصل بيت المال على شىء يذكر من المال ويقدره فوزى بنحو ثلثماية الف جنيه ونحو ثلثماية الف ريال مجيدى ونمسوى ونحو ثلاثين قنطارا من الفضه

اما اثاثات المنازل والرياش والملابس فانها لا تدخل تحت حصر وقد جمعت تلالا يخالها الرائى جبالا

اما الاسلحه فانها مدفعان من كروب و٣ مدافع متر اليوز وعشرون مدفعا جبليا و٦ الاف بندقيه رامنجتون و٤ الاف بندقيه رامنجتون بها خلل وكانت مودعة بالمخازن وعدد لا يدخل تحت حصر من البنادق ذوات الطلقتين من طراز آخر قديم

اما الذخيرة فلما يأتى ٢٠ قنبله لمدافع الكروب اما المدافع الجبليه فقنابلها موجودة بكثرة و ١٠ الاف صندوق مملوء بالخرطوش و٨ الاف برميل مملوء بارود

وكتب العم المرحوم محمد عبد الرحيم فى كتابه النداء صفحة ٢٥٥ ما يأتى :
امدرمان ابهى عواصم افريقيه بعد القاهرة رغم حداثة عهدها وترادف ارجائها ففى يوم الجمعه ١٣ ربيع ثانى سنه ١٣٠٢ هـ ٢٩ يناير سنة ٨٨٥ م ضرب النحاس ونفخت بوقات الحرب وسار المهدى فى جمع يقدر ٢٤٤٤٠٠ نسمه من معسكر ابى سعد نحو الشمال الى ان اناخ ناقته فى مكان القبه الحاليه ثم خطط جامعه البالغ ١٢ فدانا او ٥٤٦٠٠ متر مكعب حتى تعد ذلك خط دائرة شرق الجامع وخطت منازل خلفائه حوله وكان موضع المدينه عبارة عن غابه كثيفه واخذ الانصار كل طائفه تقطع الاشجار وتبنى مكانها منازل عبارة عن اكواخ ورواكيب متواضعه جلها فى مكان الاشجار التى قطعت

ففى بضعة ايام شغلوا المنطقه الواقعه بين خور شمبات شمالا وديم القتيحاب جنوبا والنيل شرقا وكادت تتصل العمارة غربا بجبال المرخيات . ويبلغ ارتفاع امدرمان ١٢٥٦ قدما عن مستوى المحيطات تكتنفها من جهة الغرب جبال المرخيات ومن الشمال جبال كررى وينحدر عليها واديان اللذان هما خور ابوعنجه الى مصبه بالنيل بعد ان يقسم جانب المدينه الجنوبى الى شطرين وكذلك خور شمبات الذى يصب بالنيل شمال المدينه وسطح المدينه متناسب فى الوسط والشمال ومتنافر فى شاطىء النيل والجنوب . والتربة تنقسم الى ثلاث عناصر الخضرة والجير والطين الضارب لونه الى الحمرة

وتحدث فى صفحة ٢٢١ عن جامع الصفيح المنسوب للمهدى فقال عنه انه محراب اتخذ من الزنك ولا تتجاوز مساحته ١٠ امتار طولا و ٧ امتار عرضا وخلفه راكوبة مترامية الاطراف للصلاة فى ظلها تسع عشرات الالوف

دار الهجرة

من الاصطلاحات التى جرى عليها الانصار أن يسموا كل جهة سكن فيها المهدى باسم البقعة وقد يضاف هذا الاسم الى اسم المدينة الاصلى أو الجهة التى سكنها المهدى فيقال «بقعة الابيض» مثلا لان المهدى كان ساكنا فيها او (بقعة الرهد) وهو منهل لان المهدى كان نازلا فيه

ولما زحف المهدى على الخرطوم كان اول معسكر اتخذه فى جنوب امدرمان على بعد نحو عشرين ميلا عند مكانا اسمه (ابى سعد) بعيدا عن شاطى النهر اتقاء مقذوفات البواخر التى كانت فى الخرطوم

فنزل المهدى فى روبوة عالية حيث قبته الان : ـ واختط المسجد وداره بعيدا عن ضفة النهر بنحو ميل واحد ونزل الخليفه عبد الله جنوب بيت المهدى بنحو مائه متر فى الجنوب الشرقى للمسجد حذاء منزل المهدى المقابل لنقطة الوسط من قبلة المسجد وكان بين منزل المهدى والخليفه ميدان فسيح ونزل الاعراب والبقارة الذين اصلهم من جهات كردفان ودارفور وهم التابعون لرايات الخليفه جنوب منزله وأمتدت مساكنهم الى الجنوب الغربى والجنوب الشرقى الى قرب المعسكر الذى كانت به جنود الحكومة وهو «خندق امدرمان» وقد اتخذ هذا الخندق معسكرا الجهدية الذين يقيمون بامدرمان وسمى معسكر ابى عنجه وأطلقوا عليه (الكاره)

ونزل جماعة من المصريين الذين كانوا بكردفان شمال هذا المعسكر عند نقطة «الموردة» وامير هولاء المصريين هو حسن حسين ونزل يوسف منصور رئيس الطوبجيه ومن معه من المصريين شمال معسكر ابى عنجه

ونزل الخليفه على ود حلو فى الشمال الشرقى من منزل المهدى ونزل اتباعه دغيم (وكنانه) فى الشمال الغربى من المسجد مما يلى السوق الذى نزل فيه جماعة من التجار وجلهم من اليونانيين واليهود والسوريين واطلق على حيهم اسم (المسالمه) ونزل الخليفه شريف شرقى منزل المهدى ونزل اقارب المهدى وسائر اتباع الخليفه شريف الذين جلهم من اهالى السودان الاوسط فى الجهة الشرقيه من منزله وامتدوا الى الشمال حتى اتصلت منازلهم بضفة النهر .

وحد المدينه يومئذ يقف فى جهة الشمال عند معسكر ود النجومى الواقع شمال المسجد بنحو ميلين ويقول فوزى

كان يطلق اسم (البقعه الطاهرة) على كل معسكر حل فيه المهدى وكانت بقعة امدرمان التى اختارها المهدى تبعد عن ضفة النهر بالفى متر تقريبا حيث ضربت اطناب الخيام وصنعت الاكواخ وتأسس مسجد طوله ستماية متر فى ضعفى هذا القدر وصنعت المهدى مقصورة من الزنك ونقل منبر الخطابة الذى كان موضوعا فى سلا ملك الحكمداريه الى تلك المقصورة وكانت بقية المسجد مكشوفة

نقود المهدى

كانت العملة المتداولة فى السودان قبل سقوط الخرطوم مؤلفة من الذهب المصرى والانجليزى والريال المجيدى والريال النمساوى - ابو نقطه - وغيرها من القطع الصغرى وكان التعامل بابى نقطه مقتصرا على الاتجار مع الحبشه وبين سواكن ومصوع ولقدذكر الاب اهرولدر فى كتابه :- أن قطعة الخمس فرنكات الا فرنسيه والريال الاسبانى ابا مدفع وربع الجنيه النمساوى الذهبى وغير ذلك من القطع النحاسية المختلفة الانواع كانت متداوله أيضا

فلما سقطت الخرطوم فى يناير سنة ١٨٨٥ الموافقه سنة ١٣٠٢ هجرية استولى امناء المهدى على كمية عظيمة من الذهب والفضة اما نقودا أو حليا وخزنت فى الخرطوم وجعل عليها احمدود سليمان المحسى امين بيت المال

ولم يشأ الامام المهدى ان يعيد النقود التى استولى عليها الى التداول فامر بضرب نقود جديدة لكى يظهر بصورة جليه استقلال بلاده فأوكل الامر الى امين بيت المال فجمع هذا الصناع المقيمين بالخرطوم وأقام عليهم احد صانعى الساعات المدعو الياس عبد الله المعروف بالكردى رئيسا وكلفه بصنع السك اللازمة لضرب النقود

فضرب اولا الجنيه الذهبى والريال الفضى وبعد ذلك نصف الريال

واتخذوا جنيه السلطان عبدالمجيد المضروب سنه ١٢٥٥ هجرية نموذجا والريال التركى المجيدى نموذجا للريال ونقشت سكة الضرب مشابهة لهاتين القطعتين بقدر الامكان • واستبدل اسم السلطان فى الطغراء بلفظتى بامر المهدى ، اما فى النقش فقد كتب ضرب فى الهجرة بدلا من ضرب فى القسطنطنيه وجعل تاريخ الريال ١٣٠٢ وكتب رقم ٥ فوق الباء من ضرب وكان نصف الريال مماثلا للريال رسما الا فى الطغراء فكانت مؤلفة من كلمتى محمد المهدى

ومن المعلوم ان قد جرت عادة الاتراك والمصريين ان يؤرخوا مسكوكاتهم بالسنة الهجرية ويضيفوا سنه ملك السلطان فوق الباء فى ضرب فترى ان المهدى حسب اول سنى ملكه يوم هجر ابا الى جبل ماسة وجبل قدير فى سنة ١٢٩٨ انه ضرب فى السنه الخامسة من المهدية

وكانت كيفية صنع النقود انذاك أن يوزن المعدن المطلوب سكه ثم يصهر ويطرق دوائر بالحجم المرغوب توضع تلك الدوائر بين قطعتى السك اما الشرشرة على الدوائر فكانت تضاف باليد

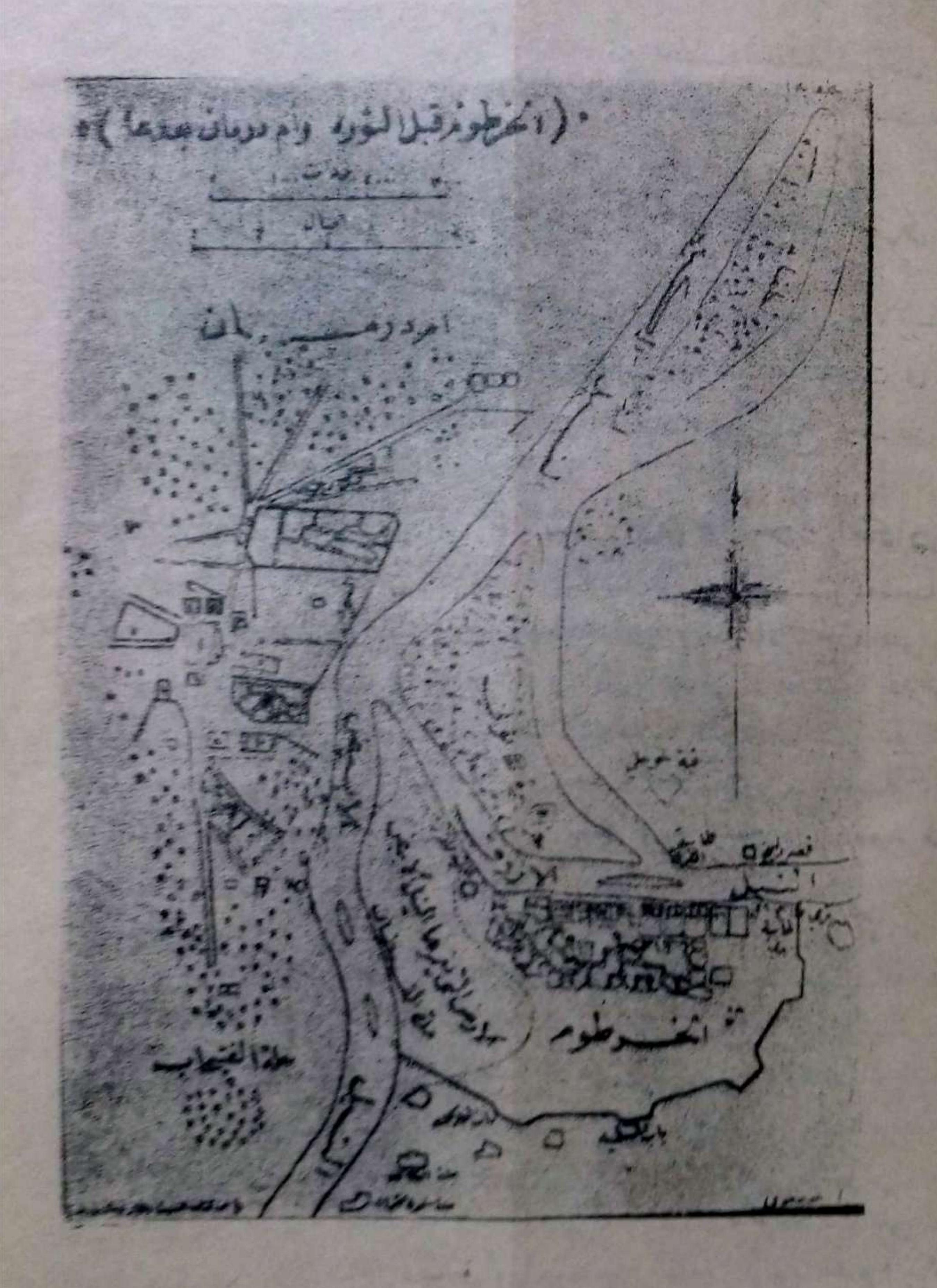
الادارة الداخليـة

وبعد ان وجه الجيوش لاخضاع الحاميـات التى ما زالت على اصرارها وعنادها وبعد ان سير الجيش يتعقب الانجليز المنسحبين وبعـد ان بعث بالكتـب والرسـائل والدعـاة للبلادالاسلامية وجه همه للتأسيس الداخلى واقامة صرح الدولة الجديدة المستقلةفضربت النقود مما غنموه من الذهب والفضة واقام النظام المالى على اسس الشريعه الغراء حيث أمر بجمع الزكاة من المسلمين حسب الاصول الشرعيـةوتوريدها لبيت مال المسلمين ٠ وكون مجلسا من الامنـاء للنظر فى الشؤون الادارية تحت رئاسة الخليفة عبد الله فهم بمثابـة وزارة رئيسـها الخليفـهفالرسائل والقرارات بعد موافقه اعضاء المجلس عليها تختم بختم المهدى وترسل الى جهاتها المختصة ٠ اما فى الاقـاليم فما زال الأمير فى كل جهة عاملا اداريا وهو ينوب عن المهدى ولا يرجع الى السلطة المركزية طالما انه يقضى بالاحوال الشرعية وينفذما يصدر اليه من العاصمة هذا فى المـال والادارة امـا القضـاءفا قضاة فى امدرمان وفى الاقاليم هم الذين يمارسون القضاء فى كل القضايا وبوجه عام فالاداة الادارية اقيمت على قرار الحكومات الاسلامية الاولى

ساوى بين الناس فليس هناك من غنى او فقير ، وعمم لبس الجبه المرقعه من الخلفاء الى المجاهد العادى ، ومنع النساء من لبس الحلى الفضيه والذهبية وصرح لهن بالزينه فيما عدا ذلك ولكن داخل بيوتهن ويسر الزواج بتخفيف المهـور وبساطة الولائم والمـآدب وتحـريم الرقص والغناء وضرب الدفوف وابطل بدعة البكاء والنواح على الميت فى الحزن ثم انه صب لعناتـه على أعمال السحر وكتابة الاحجبه وما شابهها من أعمال الشعوذه واقام حدود الشريعـة فى أتباع المحرمات كالخمر والزنـا وفى البدع كالتمباك والسـجاير واتبـاعا لسياسة التسير والتبسط بدأ فى تاليف كتاب يضمنـه العبادات والاحكام الشرعية والمعامـلات يكون مرجـعا لانصاره فى كل أمورهم فى بساطه يسهل فهمها على المسلم العادى

ويسرت ادارة دار الثائق المركزيـه بوزارة الداخلية بالخرطوم للجمهور الحصول على منشورات الامام المهدى فصورت ما طبع على مطبعـة الحجر فى مدة المهدية وقدمت للناس اربعة اجزاء المنشورات للراغبين بثمن معتدل فكان أول ثمار سودنة هذه الوظيفة فمديرها الاستاذ محمد ابراهيم ابوسليم مخلص لعمله ولوطنه

فاثنى عليه الصالحون بصالـح ورب ثناء عن لسان رفات


الخرطوم قبل الثورة وأم درمان بعدها
أم درمان
الخرطوم
حلة الشجاب

العقلية الخصبة

من اخصب عقليات رجال المال والاعمال عقلية السيد

احمد سعيد فخرى

التى وفقت فى انشاء عدة شركات ومؤسسات وطنيه ساهمت فى بناء صرح اقتصادى شامخ وضخم مثال

شركة فلاحة المحاصيل

ومهمتها رش الاقطان بالمواد الكيماويه من الطائرات للقضاء على الافات والحشرات التى تفتك بالمحاصيل وتقلل الانتاج . ففى سنه ١٩٥٧ بلغ اسهم السودانيين فيها ٥٥ ٪ فكان من حقهم ان يسندوا ادارتها الى عناصر سودانيه تحقق الهدف فاسندت الادارة اليه بتبوئه منصب المدير العام ورئيس مجلس الادارة وتحت ادارته الحسنه قامت باعمال جليله كانقاذ اقطاننا من الحشرات الزراعيه مما اكسبها سمعه طيبه قل ان تتوفر فى هذا المجال الحيوى الهام

وبعد هذا النجاح المطرد قام بتأسيس اعمال الحفريات الارتوازيه وجلب لها احدث ماكينات الحفر فساهم بذلك فى حل مشكلة العطش وتوالى هذه المؤسسه حفر كثير من الابار الارتوازيه لمياه الشرب

والسيد احمد سعيد فخرى احد الاعضاء المؤسسين للبنك التجارى السودانى وعضو مجلس ادارة شركه البن المحدودة . وقام بتأسيس التوكيلات الشرقيه للملاحة البحريه والتجاريه وهى تتولى اعمال القومسيون العام لتخليص وشحن وتفريغ البضائع وحصلت على توكيل الخط البحرى الاسبانى وشركة جريشيام للتأمين التى تقوم بكافة التأمين بمختلف فروعه وكذلك توكيل شركة ريا الامريكيه للشحن

وزيادة على ذلك له نشاط فى المحيط الزراعى فقد قام بتأسيس عدة مشاريع آليه انتجت نجاحا مطردا

اول سوق عربى بالخرطوم

كان اول سوق عربى بالخرطوم عند الشروع فى عمرانها يقع فى المكان الذى اصبح الآن دكاكين الاوقـاف الحديثه وهى شمال زنك اللحوم هناك تجد تفوق السودانى فى تجارة البقالـة بحسن التنسيق والعرض والمعاملـة الحسنة والصدق وجـودة الصنـف واعتدال الثمن فى محلات البقالة الوطنية محمد احمد الجلال ومحمد احمد جبر الله
